جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الشكر في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

دكتورة

نبيلة حامد محمد على

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الاسلامية والعربية بنات بالزقازيق
جامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وتشرق بنوره الظلمات وتستقيم بهدايته وتوفيقه أمور الدنيا والآخرة والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وعلى آله مصابيح الهدى، وأصحابه أئمة التقى، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد....،

فإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على خلقه هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله على عبده ورسوله الكريم.

هذا الكتاب الذي جعله الله المعجزة الكبرى للإسلام ونبي الإسلام وحجته البالغة الدائمة على خلقه والنبراس القويم إلى يوم الدين والنبع الصافي الذي يستضيء به الدعاة ويقتبسون من نوره الهدايات، ولا عجب في ذلك فهو الكتاب الذي أنزله الله بالحق، أي بالصدق الذي لاريب فيه أنه من عند الله، وجعله مصدقا لما بين يديه من الكتاب أي: من الكتب المتقدمة، التي تضمنت ذكره ومدحه، وبينت أنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد (ﷺ)، ونزل القرآن كما أخبرت به هذه الكتب المتقدمة وكان هذا سببا في في إثبات صدق هذه الكتب عند حامليها من أهل العلم السابقين الذين انقادوا لأمر الله، وصدقوا رسل الله، كما قال تعالى: {**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**)} (**الاسراء:١٠٧**).

وجعله كذلك مهيمنا على جميع ما أنزل الله من كتاب أي: أمينا وشاهدا وحاكما على كتبه المتقدمة، وذلك لأن الله (ﷻ) جعل هذا الكتاب الكريم الذي

هو آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأكملها، لأنه جمع فيه كل المحاسن التي وجدت في الكتب المتقدمة، وذاد فيه من الكمالات ما لم يكن في غيره من الكتب لهذا وغيره فهو شاهد وأمين وحاكم عليها كلها.

ونظرا لأن القرآن الكريم هو خاتم الكتب وأشرفها على الإطلاق فقد تكفل الله بحفظه، قال تعالى: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: ٩)**، ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب الكريم أنزله الله على رسوله (ﷺ) ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور إلى صراط العزيز الحميد **{الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** أي: هذا كتاب أنزلناه غليك يا محمد، وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع الناس عربهم وعجمهم على السواء **{لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** أي: إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد، كما قال تعالى: **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**، ومن المعروف البين لأولي الألباب أن هذا الكتاب الكريم يهدي إلى أقوم السبل قال تعالى: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً}** وقال تعالى: **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ}** هذه الأدلة وغيرها يتضح من خلالها أن القرآن الكريم الذي خصنا الله به هو أعظم وأشرف الكتب على الإطلاق وأن نبينا (ﷺ) الذي من الله علينا به هو خاتم الرسل وأعظمهم وأشرفهم على الإطلاق أيضا.

كل ذلك بين بأجلى بيان أن نعمة الدين الذي شرعه الله لنا على لسان رسوله (ﷺ) تاما كاملا وارتضاه لنا وهو دين الإسلام هو أعظم النعم وأشرفها، وينبغي على كل مسلم أن يشكر الله طويلا على هذه الهداية الربانية وأن يشكره كذلك على جميع نعمه وأن يطلب من الله المزيد من فضله.

هذا....؛ والمتدبر في آيات الله (ﷻ) يدرك على الفور أن نعم الله كثيرة لا يحصيها العد ولا يحيط بها الحصر ولا يستطيع الإنسان مهما أوتي من علم وفصاحة لسان أن يحيط بنعمة واحدة فضلا عن الإحاطة بأنعم الله كلها أو بحصرها، وصدق الله القائل: **{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}**، والذي ينبغي على المؤمن أن يعترف بنعم الله عليه وأن يقوم بالشكر كما ينبغي وأن يستعين بالنعمة على طاعة المنعم، فإن فعل هذا كان فعله هذا سببا في زيادة النعم ورضوان الله عليه وأما إن كان من الغافلين أو الجاحدين الذين يبددون نعم الله في غير طائل ولا منفعة فهذا يعرض نفسه لسخط الله وعذابه، فضلا عن زوال النعمة من يديه.

والموضوع الذي نقدم له عن الشكر وجزاء الشاكرين في القرآن الكريم، وقد بينت في هذا البحث معنى الشكر وبيان حقيقته، وأن هذا الموضوع أخذ مساحة كبيرة من القرآن الكريم، ثم تحدثت بعد ذلك عن معنى اسم الله الشكور، وبيان الفرق بين الشاكر والشكور وأن الشاكر والشكور يطلقان على الله تعالى ويطلقان على العبد، وتحدثت كذلك عن بيان الفرق بين الشكر والحمد والمدح، ثم تحدثت أيضا عن أنواع الشكر والقواعد التي يقوم عليها، وعن منزلة الشكر من الإيمان وثناء الله على الشاكرين، ثم تحدثت بعد ذلك عن الأمر بالشكر في القرآن الكريم، وعن كثرة النعم المستوجبة لشكر الله تعالى وعن ثمرات الشكر وفوائده،وفي النهاية تحدثت عن عاقبة الجحود والكفران.

وأسأل الله (ﷻ) أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجـــه الكـــريم وأن ينفعني به وطلاب العلم بوجه عام وأن يغفر لي خطأي وتقصيري وصـــلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقيرة إلى رحمة ربها وعفوه وكرمه

دكتورة

نبيلة حامد محمد على
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالزقازيق

المبحث الأول

معنى الشكر وبيان حقيقته

تعريف الشكر في اللغة: قال ابن فارس:[شكر: الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينة بعيدة القياس.

فالأول: الشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يولِيكَه ويقال: إن حقيقة الشكر الرضا باليسير، يقولون: فرسٌ شكور إذا كافاه لسِمَنِه العلف القليل، وينشدون قول الأعشى [المتقارب].

ولابد من غزوة في المَصيف رَهْبٍ تُكِلُ الوَقَاحَ الشكُورا[1]

ويقال في المثل: "أَشْكَرُ من بَرْوَقَة" وذلك أنها تخضر من الغيم من غير مطر.

والأصل الثاني: الامتلاء والغزر في الشيء يقال: حلوبة شَكِرَةٌ إذا أصابت حظا من مرعى فغزرت، ويقال أشكر القوم وإنهم ليحتلبون شكرة، وقد شكرت الحلوبة؛ ومن هذا الباب: شكِرت الشجرة إذا كثر فيئها.

والأصل الثالث: الشكير من النبات، وهو الذي ينبت من ساق الشجرة، وهي قضبان غضة، ويكون ذلك في النبات أول ما ينبت، قال [رجز]:

حمَّمَ فرخ كالشكير الجعد.

والأصل الرابع: الشكر، وهو النكاح، ويقال بل شكر المرأة:فرجها، وقال يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته: "أن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها].[2]

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (ص ١٤٩) ولسان العرب (شكر)، (حجن)، (غزا).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٢٢، ٦٢٣.

وقال ابن منظور: [الشكر عرفان الإحسان ونشره، وهو الشكور أيضا. قال ثعلب:: الشكر لا يكون إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد فهذا الفرق بينهما، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل، شكره وشكر له يشكر شكرا وشكورا وشكرانا، قال أبو نُخيلَة:

شكرتك إن الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي

قال ابن سيده: وهذا يدل على أن الشكر لا يكون إلا عن يد، ألا ترى أنه قال: وما كل من أوليته نعمة يقضي، أي ليس كل من أوليته نعمة يشكرك عليها، وحكى اللُحياني: شكرت الله، وشكرت لله، وشكرت بالله، وكذلك شكرت نعمة الله، وتشكر له بلاءه كشكره، وتشكرت له مثل شكرت له.][1]

وقال الراغب في مفرداته: [الشكر: تصور النعمة وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضاده الكفر، وهو: نسيان النعمة وسترها، ودابة شكور: مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها، وقيل: أصله من عين شَكْرىَ أي: ممتلئة. فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.][2]

مما تقدم يتبين أن الشكر في اللغة هو: الثناء على الإنسان بمعروف يُولِيكَهُ كما عرفه ابن فارس، وحقيقته الرضا باليسير، أو هو عرفان الإحسان ونشره كما قال ابن منظور، أو هو تصور النعمة وإظهارها كما عرفه الراغب الأصفهاني، ومادة" شكر " لها أصول أربعة كما تقدم.

وأما في الاصطلاح:

فقد عرف بتعاريف كثيرة منها ما ذكره الجرجاني في تعريفاته بقوله:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج١ ص ٢٣٠٥.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٦١.

[**الشكر:** عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبول إحسانه الذي هو طاعته.

الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان.

الشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله.][1]

وقال الكَفَوِيُّ: [الشكر: كل ما هو جزاء للنعمة عرفا، فإنه يطلق عليه الشكر لغة وهذا أعم، وقد قال الطيبي: [كون الشكر صادرا من هذه الثلاث – يريد النظم المشهور فيه – إنما هو عرف الأصوليين، وإلا فالشكر اللغوي ليس إلا باللسان وحده.][2]

ثم قال في موضع آخر: [الشكر بالضم: عرفان الإحسان، ومن الله: المجازاة والثناء الجميل، وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها.][3]

وقال المناوي: [الشكر: شكران، الأول: شكر باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا.][4]

---

(١) التعريفات للجرجاني ص١٦٧، ١٦٨.

(٢) الكليات للكفوي ص٥٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ٥٣٤.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٦– ٢٠٧).

وقال ابن القيم: [الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا وعلى قلبه شهودا ومحبة وعلى جوارحه انقيادا وطاعة.][1]

وقال الفيروزابادي تحت عنوان بصيرة في الشكر: [وهو تصور النعمة وإظهارها، وقيل: هو الثناء على المحسن بما أولى من المعروف.][2]

وقال في موضع آخر: [فقيل حده أنه الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وقيل عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه، وقيل هو: مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة.][3]

وهذه التعاريف كلها متقاربة، أو متشابهة و متوافقة مع المعنى اللغوي

ويشهد لذلك ما ذكره القرطبي (رحمه الله) في تفسيره بقوله: [وأما الشكر فهو في اللغة: الظهور من قوله دابة شكور، إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تعطى من العلف، وحقيقته الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه. كما تقدم في الفاتحة.

قال الجوهري: الشكر: الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له، وباللام أفصح، والشكران: خلاف الكفران، وتشكرت له مثل شكرت له وروى الترمذي وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[4]، قال الخطابي: هذا الكلام يتأول على معنيين،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج٢ ص ١٨١.

(٢) بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي ج٢ ص ٣٣٤.

(٣) المرجع السابق ج٣ ص ٣٣٨.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨١١) في الأدب: باب شكر المعروف، وأخرجه الترمذي (١٩٥٥) في البر والصلة: باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٢٠٧٠) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح، انظر شرح السنة للبغوي ج١٣ ص ١٨٧ تحقيق شعيب الأرناؤط وزهير الشاويش.

أحدهما: أن من كان من طبعه كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعم الله (ﷻ) وترك الشكر له.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر.][1]

وقال في موضع آخر: [والشكر معرفة الإحسان والتحدث به، وأصله في اللغة الظهور، وقد تقدم. فشكر العبد لله تعالى: ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له؛ إلا أن شكر العبد نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات.][2]

(١) تفسير القرطبي ج١ ص ٣٣٩.

(٢) المرجع السابق ج١ ص ٥٥٣، ٥٥٤.

المبحث الثاني

ورود الموضوع في القرآن الكريم

المتدبر لآيات الله يجد أن موضوع الشكر ورد في القرآن الكريم في كثير من المواضع، فقد عنى القرآن الكريم به عناية فائقة ولذلك أمر به وحث عليه بأساليب متعددة ونهى عن ضده وأثنى على الشاكرين من عباده، ووصف به المتميزين من خلقه، وجعله الغاية من خلقه وأمره، ووعد الشاكرين بالثواب الجزيل، والفضل العميم، وجعله السبب الرئيس للمزيد من فضله، والحارس الأمين والمحافظ على نعمته من الزوال، ولذلك وردت كلمة الشكر وما تصرف منها في القرآن الكريم في خمس وسبعين أية.(١)

وهذا غير الآيات التي حذرت من الجحود وكفران النعمة ولذلك نستطيع القول بأن هذا الموضوع يأخذ مساحة كبيرة من كتاب الله (ﷻ) كما سيتبين لنا فيما بعد.

(١) انظر المعجم المفهرس / محمد فؤاد عبد الباقي ص ٤٧٤ مادة: شكر وما بعدها.

المبحث الثالث

معنى اسم الله الشكور

من أسماء الله (ﷻ): {**الشكور**}، وذلك لأن هذا الاسم ورد في أكثر من موضع من كتاب الله (ﷻ) من ذلك قوله تعالى: **{لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ}**(١)

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}(٢)

وقوله عز شأنه: **{إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}**(٣)

وقوله تعالى: **{وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}**(٤)

وهذه الآيات تبين بوضوح، أن الشكور من أسماء الله تعالى وأنه (ﷻ) موصوف به، ومعنى الشكور بالنسبة لله عز شأنه: أنه يقصد به إنعامه على عباده بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وأنه يجازيهم الجزاء الجزيل، ويقبل منهم العمل القليل، متى كانوا مخلصين فيه، فهو ينعم عليهم بالكثير ويقبل منهم القليل، ويجازيهم على ذلك بالثواب الجزيل فضلا منه وكرما.

قال الإمام الغزالي (رحمه الله): [الشكور في أسماء الله تعالى هو: الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة، نعيما في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال له إنه شكر تلك الحسنة، ومن

---

(١) فاطر: ٣٠.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) فاطر: ٣٤.

(٤) التغابن: ١٧.

أثنى على المحسن أيضا يقال: أنه شكر، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله (ﷻ) لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة،ذلك أن نعيم الجنة لا آخر له، والله (ﷻ) يقول: **{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}** (١)

وإن نظرنا إلى معنى الثناء فإن ثناء كل مثن يكون على فعل غيره، والرب (ﷻ) إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه، لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا، فالذي أعطى وأثنى على المعطى أحق بأن يكون شكورا، ومن ثنائه (ﷻ) على عباده قوله سبحانه: **{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ}**(٢) وقوله جل من قائل: **{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**(٣) كل ذلك وما يجري مجراه عطية منه سبحانه.](٤)

وقال ابن منظور (رحمه الله)**:** [والشكور من صفات الله –جل اسمه– معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده: مغفرته لهم وإنعامه على عباده وجزاؤه بما أقامه من العبادة، والشكور من أبنية المبالغة.](٥)

وقال ابن سعدي: [وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته.

---

(١) الحاقة: ٢٤.

(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) ص ٣٠.

(٤) المقصد الأسنى (١٠٥– ١٠٦).

(٥) لسان العرب ج٤ ص ٢٣٠٥.

ومن أسماء الله الحسنى الشكور، وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع ويعفو عن الكثير من الزلَل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يضاعفه أضعافا مضاعفة بغير عد ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرما منه وجودا، والله لا يضيع أجر العاملين، إذا أحسنوا في أعمالهم وأخلصوها لله تعالى.][1]

هذا..؛ وقد ورد لفظ الشكور الذي هو من صيغ المبالغة وصفا للصفوة من عباد الله (ﷻ) كما في مثل قوله تعالى{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}[2]

وقوله سبحانه:{**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}[3]

وقوله تعالى: {**يُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}[4]

وقوله تعالي: {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**}[5]

وقوله تعالى: {**وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}[6]

وقوله تعالى: {**إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}[7]

---

(١) شرح الشافية الكافية: شرح عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٢٥، ١٢٦).

(٢) الإسراء: ٣.

(٣) إبراهيم: ٥.

(٤) لقمان: ٣١.

(٥) سبأ: ١٣.

(٦) سبأ: ١٩.

(٧) الشورى: ٣٣.

ولفظ الشكور إذا أطلق على العبد فيكون معناه: الذي يقوم بحق الطاعة خير قيام فيؤدي ما افترضه الله عليه بحيث لا يفقده حيث أمره ولا يجده حيث نهاه، ويثني على الله سبحانه بلسانه مظهراً نعمته عيه ويعترف بذلك قلبه ويستعمل جوارحه فيما خلقها الله لأجله.

قال ابن منظور – وهو يبين معنى الشكر بالنسبة للعبد: [وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته] وبنحو ذلك قال ابن سعدي، كما تقدم عنه.

المبحث الرابع

الفرق بين الشاكر والشكور

سبق أن بينا معنى الشكور إذا سمى الله تعالى به نفسه، أو كان وصفا للصفوة من خلق الله (ﷻ) وبينا أنه من أبنية المبالغة التي تدل على الكثرة والتكرار.

وأما الفرق بين الشاكر والشكور.

فالشاكر من خلق الله من يقع منه الشكر في حال الرخاء والابتلاء بالنعم، وأما الشكور فهو الذي يقع منه الشكر في جميع الأحوال، سواء ابتلي بالمنع أو العطاء ويتكرر منه ذلك. هذا إذا كان الشاكر من خلق الله، أعني: أن يكون وصفا للإنسان الشاكر، لأن الشاكر في أصل اللغة هو: المظهر للإنعام عليه ويقوم بالثناء على المنعم.

قال المناوي: [إن الشاكر من يشكر على الرخاء والشكور من يشكر على البلاء. وقيل الشاكر من يشكر على العطاء، والشكور من يشكر على المنع.

وإذا وصف الباري بالشكور فالمراد إنعامه علي عباده.][1]

وأما إذا وصف الله (ﷻ) نفسه بالشاكر، فيكون المعنى: أنه المجازي على الطاعة الواقعة من العبد بالثواب، وذلك لأن الشاكر بمعنى إظهار النعمة والثناء على المنعم محال بالنسبة لله تعالى، فيكون ذلك من قبيل المجاز في حقه (ﷻ). هذا؛ وقد وصف الله (ﷻ) نفسه بالشاكر في قوله عز شأنه {**ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**}[2]، وفي قوله تعالى: {**وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**}[3] ومعنى

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٠٧).

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) النساء: ١٤٧.

{**إن الله شاكر عليم**} أي مجاز على الطاعة بالثواب وفي التعبير بذلك مبالغة[1] و قوله تعالى: {**وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**} أي: مثيبا على الشكر بالثواب الجزيل، عليما بجميع الجزئيات لأنه لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، ويلاحظ هنا أن الله (ﷻ) سمى جزاء الشكر شكرا وفي هذا مجاز.

قال الإمام الرازي (رحمه الله): عند تفسير قوله تعالى: {**فإن الله شاكر عليم**}: [أما قوله تعالى: {**فإن الله شاكر عليم**} فاعلم أن الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه وذلك في حق اله تعالى محال، فالشاكر في حقه تعالى مجاز، ومعناه المُجازي على الطاعة: وإنما سمى المجازاة على الطاعة شكرا لوجوه (الأول) أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مبالغة في الإحسان إليهم،

كما قال تعالى: {**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**} وهو تعالى لا يستقرض من عوض ولكنه تلطف في الاستدعاء كأنه قيل: من ذا الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم (الثاني أن الشكر لما كان مقابلا للإنعام أو الجزاء عليه سمى كل ما كان جزاء شكرا على سبيل التشبيه (الثالث) كأنه يقول: أنا وإن كنت غنيا عن طاعتك إلا أني أجعل لها من الموقع بحيث لو صح علي أن أنتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل، وبالجملة فالمقصود بيان أن طاعة العبد مقبولة عند الله تعالى، وواقعة موقع القبول في أقصى الدرجات].[2]

وقال في موضع آخر وهو يفسر قوله تعالى: {**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**}: [ثم قال: {**وكان الله شاكرا عليما**} لأنه تعالى لما أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة، فالمراد

(١) انظر روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ٢٦.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٤ ص ١٦١، ١٦٢.

من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيبا على الشكر، والمراد من كونه عليما، أنه عالم بجميع الجزئيات فلا يقع الغلط له البتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض.][1]

وقال الألوسي (رحمه الله): [(وكان الله شاكرا عليما) أي: مثيبا على الشكر (عليما) بجميع الجزئيات والكليات، فلا يعزب عن علمه شيء فيوصل الثواب كاملا إلى الشاكر، وإلى هذا ذهب الإمام، وقال غير واحد: الشاكر وكذا الشكور من أسمائه تعالى هو الذي يجزي ببسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعما في الآخرة غير محدودة، وعلى التقديرين يرجع إلي صفة فعلية، وقيل معناه المثني على من تمسك بطاعته فيرجع إلى صفة كلامية].[2]

وقال صاحب المنار عند تفسيره لقوله تعالى: **{ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم}**: [**{فإن الله شاكر عليم}** أي فإن الله يثيبه لأنه شاكر يجزي على الإحسان، عليم بمن يستحق الجزاء، ثم قال بعد ذلك: (الأستاذ الإمام) وصف الباري تعالي بالشاكر لا يظهر على حقيقته فلابد من حمله على المجاز. فالشكر في اللغة مقابلة النعمة والإحسان، بالثناء والعرفان، وشكر الناس لله في اصطلاح الشرع عبارة عن صرف نعمه فيما خلقت لأجله، وكلاهما لا يظهر بالنسبة إلى الله تعالى إذ لا يمكن أن يكون لأحد عنده يد أو يناله من أحد نعمة يشكرها له بهذا المعنى، فالمعنى إذا أن الله تعالى قادر على إثابة المحسنين، وأنه لا يضيع أجر العاملين، فبهذا المعنى سميت مقابلة العامل بالجزاء الذي

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١١ ص ٨٩.

(٢) انظر روح المعاني للألوسي ج ٥ ص ١٨٠.

يستحقه شكرا، وسمى الله تعالى نفسه شاكرا. وأزيد على قول الأستاذ أن الله تعالى وعد الشاكرين لنعمه بالمزيد منها، فسمى هذا شكرا من باب المشاكلة.

والنكتة في اختيار هذا التعبير تعليمنا الأدب فقد علمنا (ﷻ) بهذا أدبا من أكمل الآداب بما سمى إحسانه وإنعامه على العاملين شكرا لهم مع أن عملهم لا ينفعه ولا يدفع عنه ضرا فيكون إنعاما عليه ويدا عنده، وإنما منفعته لهم فهو في الحقيقة من نعمه عليهم إذ هداهم إليه، وأقدرهم عليه، فهل يليق بمن يفهم هذا الخطاب الأعلى، أن يرى نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى، وهو لا يشكره ولا يستعمل نعمه فيما سيقت لأجله؟ ثم هل يليق به أن يرى بعض الناس يسدي إليه معروفا ثم لا يشكره له ولا يكافئه عليه، وإن كان هو فوق صاحب المعروف رتبة وأعلى منه طبقة؟كيف وقد سمى الله تعالى جده وجل ثناؤه – إنعامه على من يحسنون إلى أنفسهم وإلى الناس شكرا، والله الخالق وهم المخلوقون، وهو الغني الحميد وهم الفقراء المعوزون.

شكر النعمة والمكافأة على المعروف من أركان العمران وترك الشكر والمكافأة مفسدة لا تضاهيها مفسدة، إذ هي مدعاة ترك المعروف كما أن الشكر مدعاة المزيد، ولذلك أوجب الله تعالى علينا شكره، وجعل في ذلك مصلحتنا ومنفعتنا، لأن كفران نعمه بإهمالها أو بعدم استعمالها فيما خلقت لأجله أو بعدم ملاحظة أنها من فضله وكرمه تعالى. كل ذلك من أسباب الشقاء والبلاء.

وأما تركنا شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجها إلينا أو إلى غيرنا من الخلق، فهو جناية منا على الناس وعلى أنفسنا، لأن صانع المعروف إذ لم يلق إلا الكفران فإن الناس يتركون عمل المعروف في الغالب فنحرم منه ونقع مع الأكثرين في ضده فنكون من الخاسرين. وإنما قلنا: "في الغالب" لأن في الناس من يصنع المعروف ويسعى في الخير رغبة

في الخير والمعروف وطلبا للكمال، ولكن أصحاب هذه النفوس الكبيرة والأخلاق العالية التي لا ينظر ذووها إلى مقابلة الناس لأعمالهم بالشكر، ولا يصدهم عن الصنيعة جهل الناس بقيمة صنيعتهم، قلما تلد القرون واحدا منهم، ثم إن كفران النعم لابد أن يؤثر في نفس من عساه يوجد منهم فإن لم يكن أثره ترك السعي والعمل، كان الفتور والونى فيه، وإذا لم يدع المعروف فاعله لكفران الناس لسعيه، تركه لليأس من فائدته، أو للحذر من سوء مغبته، إذ الحاسدون من الأشرار، يسعون دائما في إيذاء الأخيار كذلك الشكر يؤثر في إنهاض همة أعلياء الهمة من المخلصين في أعمالهم الذين لا يريدون عليها جزاء ولا شكورا ذلك أنهم يرون عملهم الخير نافعا فيزيدون منه كما أنهم إذا رأوه ضائعا يكفون عنه (قال الأستاذ الأمام) بعد بيان حسن أثر الشكر في المخلصين: ويروون في هذا حديثا ارتقى به بعضهم إلى درجة الحسن وهو "عجبت لمحمد كيف يسمن من أذنيه"[1] أي كان إذا ذكرت أعماله الشريفة وسعيه في الخير المطلق يُسر ويسمُن – هذا وهو(ﷺ) أخلص المخلصين الفاني في الله تعالى لا يبتغي بعمله غير مرضاته فكيف لا يكون غيره أجدر بذلك ممن إذا سلم من الانبعاث إلى الخير بباعث الشكر والثناء فلا يكاد يسلم من حب الثناء لذاته فضلا عن مقت الكفران والكنود.][2]

وما ذكرناه نقلا عن الإمام الرازي والمحقق الألوسي وصاحب المنار (رحمهم الله) وأجزل لهم العطاء يبين أن هناك فرقا بين الشاكر والشكور وأن الشكور من أبنية المبالغة،وأما الشاكر فمعناه بالنسبة لله (سبحانه وتعالى)، الذي يجازي على يسير الطاعات بعظيم الدرجات، وأما معناه بالنسبة للإنسان كما تقدم فهو المظهر

(١) لم أقف على هذا الحديث فيما توفر لدي من مراجع.

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٥: ٤٨.

للإنعام والمثني على المنعم وهذا محال بالنسبة لله عز شأنه وقد جاء لفظ شاكر وصفا للصفوة القليلة من عباد الله (ﷻ) كما في قوله تعالى في حق ابراهيم (عليه السلام) **{شَاكِراً لَأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**[1]

وبعد أن عرفنا هذا نشرع في بيان الفرق بين الشكر والحمد والمدح.

(١) النحل: ١٢١.

المبحث الخامس

الفرق بين الشكر والحمد والمدح

بينا فيما تقدم الفرق بين الشاكر والشكور، وبعد ذلك نشرع في بينا لفرق بين الشكر والحمد والمدح، فنقول وبالله التوفيق:

إن كلا من الشكر والحمد والمدح ثناء على المنعم أو المحسن، ولكن يوجد فروق دقيقة تميز كل واحد من هذه الثلاثة عن الآخر.فالمدح هو الثناء الحسن بالكلام الجميل، وضد المدح الهجاء.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: [الميم والحاء والدال أصل صحيح يدل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه يمدحه مدحا: أحسن عليه الثناء].(١)

وقال ابن منظور في لسان العرب:

[المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء].(٢)

والحمد أيضا هو الثناء الجميل على المحمود، وضد الحمد الذم، وفي الحمد معنى التعجب والتعظيم للمحمود وخضوع الحامد للمحمود.

قال ابن فارس: [حمد: الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم: يقال حمدت فلانا وأحمده، ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة].(٣)

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص ٩٧٨.

(٢) لسان العرب ج ٦ ص ٢٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة ص ٢٨١.

قال صاحب المصباح [حمدته: على شجاعته وإحسانه (حمدا) أثنيت عليه ومن هنا كان (الحمد) غير الشكر لأنه يستعمل لصفة في الشخص وفيه معنى التعجب، ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح وخضوع المادح كقول المُبْتَلَى (الحمد لله) إذ ليس هنا شيء من نعم الدنيا ويكون في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد].[1]

وأما الشكر فهو الثناء على المنعم بسبب ما أسداه من معروف، وقد تقدم معناه بالتفصيل، وحقيقته الرضا باليسير وضد الشكر الكفران، أي: كفران النعمة، هذا من حيث اللغة.

ومما تقدم تبين أن كلا من المدح والحمد والشكر بمعنى الثناء الحسن على الممدوح، أو المحمود أو المنعم، ولكن الفرق بينهم واضح من حيث اللغة، فالمدح كما يقول العلماء اعم من الحمد وذلك لأنه يكون للحي والميت، وللعاقل وغير العاقل، وللفاعل المختار ولغير المختار، فقد يمدح الإنسان شخصا مات منذ زمن بعيد، وقد يمدح اللؤلؤ لحسن شكله، أو يمدح شيئا ما لا تتوفر له إرادة أو اختيار، كمن يمدح نوعا من أنواع الخيول، أو نوعا من أنواع الثياب لمزايا وجدت في كل منهما، وهذا بخلاف الحمد، فلا يكون إلا للحي العاقل المختار، وهذا يبين بأجلى بيان أن المدح أعم من الحمد.

النقطة الثانية: أن المدح قد يكون قبل الإحسان أو بعده، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان.

النقطة الثالثة: المدح قد يكون منهيا عنه في بعض الأوقات ولظروف معينة ويشهد لذلك ما روي عن النبي (ﷺ) "أحثوا التراب في وجوه المداحين"[2]

---

(١) المصباح المنير ج ١ ص ١٤٩.

(٢) قال البغوي هذا حديث صحيح أخرجه مسلم رقم (٣٠٠٢) (٦٩) انظر شرح السنة للبغوي ج١٣ ص ١٥٠، قال العجلوني: ٢٣٥- (أحثوا في وجوه المداحين التراب)=

أما الحمد فهو مأمور به على كل حال ويؤيد ذلك قول الرسول(ﷺ) "من لم يحمد الناس لم يحمد الله"[1]

النقطة الرابعة: إن المدح يدل على أن الممدوح مختص بنوع ما من أنواع الفضائل وأما الحمد فهو القول الدال على أن المحمود مختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الإنعام والإحسان، وكل هذه الأمور تبين بوضوح أن المدح أعم من الحمد، وأما الفرق بين الحمد والشكر مع أن كلا منهما ثناء على المنعم ولكن الحمد أعم من الشكر، وذلك لأن الحمد يكون على ما وصل من المنعم من إنعام وإحسان سواء كان هذا الإنعام أو الإحسان واصلا إلى الحامد نفسه أو إلى غيره فالحامد يحمد الله (ﷻ) لأنه مستحق للحمد سواء أنعم عليه أوأنعم على غيره، وسواء كان الإحسان واصل إليه أو إلى أحد من خلقه أما الشكر فلا يكون إلا على ما وصل إلى الشاكر من إحسان ونعم، فهو يشكر بسبب ما

=رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم عن المقداد بن الأسود مرفوعا، وكان هو يحمله على ظاهره كابن عمر، وحمله الأكثر على عدم إعطائهم، وقال المناوي: أو المراد أعطوهم ما طلبوه فإن كل ما فوق التراب تراب انتهى ، ورواه الترمذي عن أبي هريرة وابن عساكر عن عبادة بن الصامت بلفظ **(أحثوا في أفواه المداحين التراب)**، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وأبو داود بلفظ **(إذا رأيتم المداحين فأحثوا في وجوههم التراب)**، ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن ابن عمر بن الخطاب، وروى ابن شيبة في مصنفه عن عطاء بن أبي رباح: أن رجلا كان يمدح رجلا عند ابن عمر، فجعل ابن عمر يحثوا التراب نحو وجهه بأصابعه ' وقال قال رسول الله (ﷺ) **(إذا رأيتم المداحين فأحثوا في أفواههم التراب)** انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ج١ص ٥٧.

(١) هذا الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا في بعض كتب التفسير مثل تفسير الألوسي ج١ ص ٤٢، والرازي (١/ ١٩٨)، وتفسير الباب لابن عادل (١ /١)، وتفسير النيسابوري (٣٢/١).

وصل إليه من نعم فثبت بذلك أن الحمد أعم من الشكر ولأن الحامد يحمد الله على البلاء كما يحمده على العطاء، والشاكر في الغالب يشكر على العطاء.

قال ابن منظور في لسان العرب وهو يبين الفرق بين الحمد والشكر:[قال ثعلب: الحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد وسيأتي ذكره، وقال اللحياني: الحمد الشكر، فلم يفرق بينما. الأخفش: الحمد لله الشكر لله: قال: والحمد لله الثناء. قال الأزهري: الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها، والحمد قد يكون شكرا للصنيعة ويكون ابتداء للثناء على الرجل، فحمد الله الثناء عليه ويكون شكرا لنعمه التي شملت الكل. والحمد أعم من الشكر،..... والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته ومنه، الحديث: "الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدلا يحمده"(١) كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان، وإنما كان رأس الشكر لأن فيه إظهار النعمة والإشادة بها، ولأنه أعم منه، فهو شكر وزيادة.][٢] وقال في موضع آخر بعد أن ذكر مقالة ثعلب في الفرق بين الحمد والشكر: [قال أبو نُخيلة:

شكرتك إن الشكر حبل من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي

قال ابن سيده: وهذا يدل على أن الشكر لا يكون إلا عن يد، ألا ترى أنه قال: وما كل من أوليته نعمة يقضي؟ أي ليس كل من أوليته نعمة يشكرك عليها..... والشكر مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (١١٥٧٤) من حديث عبد الله بن عمر (٤٢٤/١٠)، والبيهقي في شعبه برقم (٤٢٢٣) من حديث عبد الله بن عمرو (٩ /٤٣٢)

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٥٠.

صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته][1] أ٠هـ بقدر الحاجة.

وقال الإمام الرازي في تفسيره الكبير وهو يبين الفرق بين الحمد والمدح والشكر عند تفسيره لقوله تعالى: {**الحمد لله رب العالمين**} من سورة الفاتحة ما نصه: [في تفسير قوله تعالى (الحمد لله) وفيه وجوه: (الأول) ههنا ألفاظ ثلاثة: الحمد، والمدح، والشكر، فنقول: الفرق بين الحمد والمدح من وجوه:

(الأول): أن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي، ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فإنه قد يمدحها، فثبت أن المدح أعم من الحمد.

(الوجه الثاني) في الفرق: أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، وأما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان.

(الوجه الثالث) في: أن المدح قد يكون منهيا عنه، قال (عليه السلام) "أحثوا التراب في وجوه المداحين" أما الحمد فإنه مأمور به مطلقا، قال (ﷺ) "من لم يحمد الناس لم يحمد الله".

(الوجه الرابع): أن المدح عبارة عن القول الدال على كونه مختصا بنوع من أنواع الفضائل، وأما الحمد فهو القول الدال على كونه مختصا بفضيلة معينة، وهي فضيلة الإنعام والإحسان، فثبت بما ذكرنا أن المدح أعم من الحمد.

وأما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك.إذا عرفت هذا فنقول: قد ذكرنا أن المدح حاصل للحي ولغير الحي وللفاعل

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ٤٦٠.

المختار ولغيره فلو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا، أما لما قال الحمد لله فهو يدل على كونه مختارا، فقوله:

(الحمد لله) يدل على كون هذا القائل مقرا بأن إله العالم ليس موجبا بالذات كما تقول الفلاسفة بل هو فاعل مختار، وأيضا فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكر لله، لأن قوله الحمد لله ثناء على الله بسبب كل إنعام صدرمنه ووصل إلى غيره، وأما الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل، ولا شك أن الأول أفضل لأن التقدير كأن العبد يقول: سواء أعطيتني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين، وأنت مستحق للحمد العظيم، وقيل الحمد على ما دفع الله من البلاء، والشكر على ما أعطى من النعماء.

فإن قيل النعمة في الإعطاء أكثر من النعمة في دفع البلاء، فلماذا ترك الأكثر وذكر الأقل قلنا فيه وجوه: **(الأول)** كأنه يقول: أنا شاكر لأدنى النعمتين فكيف لأعلاهما **(الثاني)** المنع غير متناه، والإعطاء متناه، فكان الابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له أولى **(الثالث)**: أن دفع الضرر أهم من جلب النفع. فلهذا قدمه].[1]

وما ذكرناه نقلا عن الإمام الرازي وصاحب اللسان (رحمهما الله) يبين صحة ما ذكرناه سابقا من بيان الفروق بين الحمد والمدح والشكر، وممن بين الفروق بدقة وتفصيل المحقق الألوسي في تفسيره وذكر كلاما طيبا في هذا الشأن، نرى من تمام الفائدة أن نذكره بتمامه حتى ينتفع به كل من يطالع هذا العمل المتواضع، قال (رحمه الله): [وفرقوا بين الحمد والمدح بأمور.

(أحدها) أن الحمد يختص بالثناء على الفعل الاختياري لذوي العلم، والمدح يكون في الاختياري وغيره، ولذوي العلم وغيرهم كما يقال مدحت اللؤلؤة على

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١ ص ٢١٨، ٢١٩.

صفائها (وثانيها وثالثها) أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظن، وأن تكون الصفات المحمودة صفات كمال، والمدح قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما **(ورابعها)** أن في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح وهو أخص بالعقلاء والعظماء وأكثر إطلاقا على الله تعالى **(وخامسها)** أن الحمد إخبار عن محاسن الغير مع المحبة والإجلال، والمدح إخبار عن المحاسن ولذا كان الحمد إخبار يتضمن إنشاء والمدح خبرا محضا **(وسادسها)** أن الحمد مأمور به مطلقا ففي الأثر"من لم يحمد الناس لم يحمد الله"، والمدح ليس كذلك "أحثوا في وجوه المداحين التراب" ويشعر كلام الزمخشري في الكشاف والفائق بترادفهما ففي الأول أنهما أخوان وجعل فيه نقيض المدح أعني: الذم نقيضا للحمد، وفي الثاني الحمد المدح والوصف بالجميل فالمدح عنده مخصوص بالاختياري وتأول المدح بالجمال وصباحة الوجه، واحتمال أن يراد من الأخوين ما يكون بينهما اشتقاق كبير، بأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب كجبذ وجذب وأن الأدباء يجوزون التعريف بالأعم والنقيض هناك بالمعنى اللغوي ويجوز أن يكون شيئا واحد نقيضا لشيئيين بينهما عموم وخصوص بهذا المعنى لاينفي ما قلناه بل إذا أنصفت تكاد تجزم بأن الزمخشري قائل بالترادف ولا تستفزك هذه الاحتمالات لأنها كسراب بقيعة، نعم هذا القول بعيد منه وهو شيخ العربية وفتاها فالحق الذي لا ينبغي العدول عنه أن المدح يكون على غير الاختياري وكأنه لذلك لم يقل عز شأنه المدح لله كما قالوا، إظهار لأن الله تعالى فاعل مختار وفي ذلك من الترغيب والترهيب المناسبين لمقام البعثة والتبليغ ما لا يخفى.

(وأما الشكر) فهو أيضا مغاير للحمد إلا أن بعضهم خصه بالعمل والحمد بالقول، وبعض جعله على النعم الظاهرة، والآخر على النعم الباطنة، وادعى

آخرون اختصاصه بفعل اللسان كالحمد في المشهور،إلا أنه على النعم وإليه يشير كلام الراغب[1].

والمعروف أنه ما كان في مقابلتها قولا باللسان وعملا وخدمة بالأركان واعتقادا ومحبة بالجنان، وقول الطيبي إن هذا عرف أهل الأصول فإنهم يقولون شكر المنعم واجب ويريدون منه وجوب العبادة وهي لا تتم لا بهذه الثلاثة وإلا فالشكر اللغوي ليس إلا باللسان غير طيب فإن ظاهر إطلاق الكتاب والسنة إطلاق الشكر على غير اللسان قال تعالى: {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**} وروى الطبراني[2].

عن النواس بن سمعان: "أن ناقة رسول الله (ﷺ) الجدعاء سرقت فقال لئن ردها الله علي لأشكرن ربي فلما ردت قال الحمد لله، فانتظروا هل يحدث صوما أو صلاة فظنوا أنه نسي فقالوا له: فقال ألم أقل: الحمد لله؟![3] فلو لم

(١) قال الشكر هو الثناء على المحسن أ. هـ منه.

(٢) والحديث الآتي أيضا فيه دلالة على هذا فافهم أ.هـ منه.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: باب من اسمه أحمد برقم (١١٢١)ج٣ ص ٨٢: عن النواس بن سمعان، قال: سرقت ناقة رسول الله (ﷺ) الجدعاء، فقال رسول الله (ﷺ) لئن ردها الله عليّ لأشكرن ربي عز وجل فوقعت في حي من أحياء العرب فيه امرأة مسلمة، فكانت الابل إذا سرحت سرحت متوحدة، وإذا بركت الابل بركت متوحدة،واضعة بجرانها،فأوقع الله في خلدها أن تهرب عليها،فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها ثم حركتها،فصبحت بها في المدينة،فلما رآهاالمسلمون فرحوا بها ومشوا بجانبها حتى أتوا رسول الله (ﷺ) فلما رآها رسول الله (ﷺ) قال: الحمد لله،فقالت المرأة: يارسول الله إن نذرت إن نجاني الله عليها أن انحرها وأطعم لحمها المساكين،فقال: بئس ما جزيتيها،لا نذر لك إلا بما ملكت، فانتظروا هل يحدث رسول الله (ﷺ) صوما أو صلاة،فظنوا أنه نسي،فقال رسول الله قد كنت قلت لئن ردها الله عز وجل عليّ=

يفهموا (ﷺ) إطلاق الشكر على العمل لم ينتظروه" وزاد بعضهم في أقسام الشكر رابعا وهو شكر الله تعالى بالله فلا يشكره حق شكره إلا هو، ذكره صاحب التجريد وأنشد:

وشكري ذوي الإحسان بالقلب تارة وبالقول أخرى ثم بالعمل الأثنى

وشكري لربي لا بقلبي وطاعتي ولا بلساني بل به شكرنا عنا

والذي أطبق عليه الناس التثليث وعلى كل حال بينه وبين الحمد عموم وخصوص من وجه والحمد أقوى شعبة لأن حقيقته إشاعة النعمة والكشف عنها كما أن كفرانها إخفاؤها وسترها وتلك بالقول أتم لأن الاعتقاد أمر خفي في نفسه وعمل الجوارح وإن كان ظاهرا إلا أنه يحتمل خلاف ما قصد به، وكم فرق بين حمدت الله وشكرته ومجدته وعظمته وبين أفعال العبادة وهي كلها موافقة للعادة ولسان الحال أنطق من لسان المقال أمر ادعائي كما هو المعروف في أمثاله ولهذا قال (ﷺ) فيما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما) " الحمد رأس الشكر ما شكر الله تعالى عبد لا يحمده "[1] وهو وإن كان فيه انقطاع إلا أن له شاهدا [2] يتقوى به وإن كان مثله، فحيث كان النطق يجلي كل مشتبه وكان الحمد أظهر الأنواع وأشهرها حتى إذا فقد كان ما عداه بمنزلة العدم شبهه (ﷺ) بالرأس الذي هو أظهر الأعضاء وأعلاها الأصل لها والعمدة في بقائها وكأنه لهذا أتى

=لأشكرن ربي (ﷻ) قال: ألم أقل الحمد لله؟ لا يروى هذا الحديث عن النواس إلا بهذا الاسناد، تفرد به النفيلي.

(١) سبق تخريجه.

(٢) فعن أنس قال: "قال رسول الله (ﷺ)" إن إبراهيم سأل ربه فقال: يا رب ما جزاء من حمدك؟ فقال: الحمد مفتاح الشكر والشكر يعرج به إلى رب العرش رب العالمين، قال فما جزاء من سبحك؟ قال لا يعلم تأويل التسبيح إلا رب العالمين" أ.هـ منه.

(أخرجه الديلمي عن أنس – كنز العمال ج١ ص ٤٦٩ برقم ٢٠٤٢).

به الرب سبحانه ليكون الرأس للرئيس ويفتتح النفيس بالنفيس، أو لأنه لو قال جل شأنه الشكر لله كان ثناء عليه تعالى بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل والحمد لله ليس كذلك فهو أعلى كعبا وأظهر عبودية ويمكن أن يقال إن الشكر على الإعطاء وهو متناه والحمد يكون على المنع وهو غير متناه، فالابتداء بشكردفع البلاء الذي لا نهاية له على جانب من الحسن لا نهاية له ودفع الضر أهم من جلب النفع فتقديمه أحرى، وأيضا مورد الحمد في المشهور خاص ومتعلقه عام والشكر بالعكس موردا ومتعلقا ففي إيراده دونه إشارة قدسية ونكتة على ذوي الكثرة خفية وإلى الله ترجع الأمور.][1]

وما ذكرناه نقلا عن المحقق الألوسي (رحمه الله) في بيان الفرق بين الشكر والحمد والمدح فيه كفاية لمن أراد أن يتدبر والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) روح المعاني للألوسي ج١ ص٧٠،٧١.

المبحث السادس

أنواع الشكر والقواعد التي يقوم عليها

بعد أن بينا فيما سبق الفرق بين الشكر والحمد والمدح نبين هنا أنواع الشكر والقواعد التي يقوم عليها، وقد بين أهل العلم أن للشكر أنواعا ثلاثة:

الأول: شكر اللسان وهو: الثناء على المحسن بذكر إحسانه وإظهار النعمة والاعتراف بها باللسان

النوع الثاني: شكر القلب وهو: أن يعتقد العبد بقلبه وأن يكون هذا الاعتقاد صادرا عن حب وإذعان بما صدر عنه عن طريق اللسان

النوع الثالث: شكر الجوارح وهو: أن يستمل العبد جميع النعم التي أنعم الله بها عليه من السمع والبصر والكلام وغير ذلك فيما خلقت لأجله، وبيان ذلك: أن يستعمل العبد النظر في التأمل في مخلوقات الله، ويستعمل السمع في تلقي الأوامر والنواهي، ويستعمل العقل في فهم المعاني التي ينبغي أن يفهمها ويعمل بمقتضاها، وبالجملة: فشكر الجوارح عبارة عن القيام بطاعة الله خير قيام، بمعني أن يكون ممتثلا للأوامر مجتنبا للنواهي، فلا يفقده الله حيث أمره ولا يجده حيث نهاه، وهذا هو شكر الجوارح.

وإنما قلنا إن الشكر أنواع ثلاثة، لأنه لا يخرج عنها، لأن الشكر ثناء كما تقدم، وهذا يكون باللسان واعتراف وهذا يكون بالقلب وعمل وهو شكر الجوارح، ويؤيد ذلك قوله تعالى: {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**}[1] أي: اعملوا ما تعملونه شكرا لله، وقيل شكرا مفعول لقوله "اعملوا". وإنما قال (ﷻ): "اعملوا" ولم يقل اشكروا، لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من

(١) سبأ: ١٣.

الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح، ويؤيد ذلك أيضا ما رواه الطبراني عن النواس بن سمعان "أن ناقة رسول الله (ﷺ) الجدعاء سرقت فقال لئن ردها الله تعالى عليّ لأشكرن ربي، فلما ردت قال: الحمد لله، فانتظروا هل يحدث صوما أو صلاة فظنوا أنه نسي فقالوا له: فقال: ألم أقل الحمد لله؟!" فلو لم يفهموا (رضي الله عنهم) إطلاق الشكر على العمل لم ينتظروه.

وما أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب قيام النبي (ﷺ) الليل عن زياد قال: سمعت المغيرة (رضي الله عنه) يقول: إن كان النبي (ﷺ) ليقوم – أو ليصلي– حتى ترم قدماه – أو ساقاه– فيقال له فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا " قال الحافظ في الفتح عند شرحه لهذا الحديث: [وفيه مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل، كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: **{اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً}** وقال القرطبي: ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقا آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورا، ومن ثم قال (سبحانه وتعالى): **{وقليل من عبادي الشكور}** وفيه ما كان النبي (ﷺ) عليه من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه، قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، والله أعلم.][1]

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ ص٢٠ ط– دار الريان للتراث.

وزاد بعض أهل العلم في أنواع الشكر نوعا رابعا وهو: شكر الله تعالى بالله فلا يشكره حق شكره إلا هو. ذكره صاحب التجريد وأنشد:

وشكري ذوي الإحسان بالقلب تارة ** وبالقول أخرى ثم بالعمل الأثنى

وشكري لربي لا بقلبي وطاعتي ** ولا بلساني بل به شكرنا عنا

ولكن الذي أطبق عليه الكافة أن الشكر أنواع ثلاثة، والشكر بهذه الأنواع وهذه الكيفية، حكمه الوجوب، ولكن هنا مسألة مهمة ينبغي بيانها والوقوف عليها وهي: هل هذا الوجوب ثبت عن طريق العقل أو عن طريق الشرع. نقول: اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى فريقين:

فريق يرى أن الوجوب ثبت بطريق الشرع وهؤلاء هم الأشاعرة، وحجتهم في ذلك أنه لو وجب بطريق العقل لوجب قبل البعثة ولعذب تاركه ولا تعذيب قبل مجيء الشرع، لقوله تعالى: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}**(١) وقوله تعالى: **{رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}**(٢)، وهذا كما تقدم عن الأشاعرة، الذين يقولون بعدم وجوب الإيمان قبل البعثة، وذلك لأنه لا يعرف حكم من أحكام الله تعالى إلا بعد بعثه نبي، فمن مات ولم تبلغه دعوة رسول فليس من أهل النار عندهم.

وأما الفريق الثاني وهم أبو منصور الماتريدي وأتباعه وعامة مشايخ سمرقند فإنهم قائلون بأن بعض الأحكام قد يعرف قبل البعثة بخلق الله تعالى العلم به إما بلا سبب كوجوب تصديق النبي ومعرفة الكذب الضار، وإما على سبب بالنظر وترتيب المقدمات، وقد لا يعرف إلا بالكتاب كأكثر الأحكام فيجب

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) النساء: ١٦٥.

الإيمان بالله تعالى قبل البعثة عقلا حتى قال أبو حنيفة لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم لما يرى في الآفاق والأنفس.

ووافقهم على ذلك من يرى أن شكر الله (ﷻ) ثبت بطرق العقل وهم المعتزلة واستدلوا على مذهبهم هذا بقوله تعالى: {**الحمد لله**} فإن هذا القول الكريم يدل على أن الله تعالى مستحق للحمد على الإطلاق وأيضا عقب ذلك بقوله تعالى: {**رب العالمين**} وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على أن استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجيء الشرع وبعده، ويجاب عن ذلك بأن استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه عن طريق الشرع.قال الإمام النيسابوري: [واعلم أن الحمد سبيله سبيل سائر الأذكار، والعبادات في أنها إنما يؤتى بها لا لأن الله تعالى مستكمل بها ولا لأنه مجازي بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية وإضافة الإمكان. الله حسبي][1]

والذي نراه بعد ذلك أن قول:من قال إن الشكر واجب بطريق الشرع وهم الأشاعرة ومن وافقهم هو القول الراجح، وذلك لقوة أدلتهم ونصاعة حجتهم، فالقرآن صريح في أنه لا يعذب الله أحدا إلا بعد بعثه رسول، وصريح كذلك في أن الرسل مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أدلة القائلين بأن الشكر واجب بطرق العقل غير صريحة في إثبات مدعاهم ويمكن الرد عليها كما تقدم والله أعلم.

وبعد أن عرفنا أنواع الشكر وحكمه نبين بعد ذلك القواعد التي يقوم عليها فنقول وبالله التوفيق.

قال أهل العلم إن مبنى الشكر على خمس قواعد:

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج١ ص٩٦.

١- خضوع الشاكر للمشكور

٢- وحبه له

٣- واعترافه بنعمته

٤- والثناء عليه بها

٥- وألا يستعملها فيما يكره

فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجـــع وعليهـــا يدور[١]

(١) انظر مدارج السالكين ج٢ ص١٨١ وبصائر ذوي التمييز (٣/٣٤و٣٣٤).

المبحث السابع

منزلة الشكر من الإيمان وثناء الله على الشاكرين

منزلة الشكر منزلة عالية في من أعلى المنازل، كما هو معلوم ودرجة الشاكرين عند الله تعالى من أرفع الدرجات، وذلك لأن الذي يكون شاكرا لله بحق، يكون قد وصل إلى أعلى منازل السالكين وارتفعت درجته عند الله تعالى إلى أسمى الدرجات، ومنزلة الشكر فوق منزلة الرضا وزيادة لأن الرضا مندرج في الشكر لأنه من المعروف أنه يستحيل وجود الشكر بدون الرضا، فالشاكر راض عن ربه في جميع الأحوال والشكر نصف الإيمان، لأن [الإيمان نصفان، نصف شكر ونصف صبر][1] ومما يدل على أن منزلة الشكر من أعلى المنازل، أن الله (ﷻ) أمر به في كثير من آي القران وسنفرد مبحثا نبين فيه الآيات التي أمر الله (ﷻ) عباده بالشكر فيها وأنه حثهم وحضهم على الشكر بأساليب متعددة في القرآن الكريم، وجملة القول في ذلك أن الله تعالى أمر

(١) رواه البيهقي في شعبه عن أنس، باب: فضل فيما يقول العاطس ج ٢ ص ١٩٩ورواه الشهاب القضاعي في مسنده باب: الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر ج ١ ص ٢٥٧، ج١ ص ٢٥٨، وكنز العمال ج١ ص٣٦، وفي تخريج أحاديث الإحياء برقم ٣٦٤٦ ج١٤٦/٨، قال: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن انس، ويزيد ضعيف، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٨٩/٢): ضعيف جدا،رواه الخرائطي في كتاب (فضل الشكر) والديلمي في مسند الفردوس (٣٦١/٢/١) عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك مرفوعا ' قلت: وهذا سند ضعيف جدا، يزيد هو ابن أبان وهو متروك كما قال النسائي وغيره، والحديث ذكره في الجامع الصغير من رواية البيهقي في الشعب عن أنس، وقال المناوي " وفيه يزيد الرقاشي، قال الذهبي وغيره متروك.

بالشكر ونهي عن ضده وهو الكفران والجحود للنعم، وأثنى (ﷻ) في كتابه على الشاكرين من عباده ثناء عاطرا يفهم منه أن الشكر لا يوصف بـــه إلا الـــصفوة من خلق الله فقد بين بصراحة ووضوح أن الشكر هو الغاية من خلقـــه وأمـــره ولذلك قرن الله (ﷻ) الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له من عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال سبحانه: {**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَـــانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**}[1] أي إن وفيتم ما خلقكم له وهو الشكر والإيمان فما أصـــنع بعذابكم؟ ووعد الله الشاكرين بأحسن الجزاء وبين في كتابه أن الشكر يكون سببا في المزيد من فضل الله والحارس والحافظ للنعم من الـــزوال وكـــذلك أخبـــر سبحانه أن الشاكرين هم المنتفعون بآيات الله وهم المخصوصون بمنتـــه علـــيهم من بين عباده يشهد لذلك قوله عز شأنه: {**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِـــبَعْضٍ لِيَقُولُـــوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**} [2] ومما يدل على علو منزلة الشكر أن الله (ﷻ) أمر به في كثير من آي القرآن الكريم كما تقـــدم من ذلك قوله تعالى: {**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**}[3] فقد أمـــر عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، ومن المعلوم أن الله لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، وقال: {**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**}[4] في هذا القول الكريم دليل على أن العبادة لا تتحقق إلا بالشكر ويدل على علو منزلتـــه أيـــضا أن الله (ﷻ) أثنى به على صفوة خلقه من ذلك ما أثنى به على خليلـــه إبـــراهيم (عليه السلام)

(١) النساء: ١٤٧.
(٢) الأنعام: ٥٣.
(٣) البقرة: ١٥٢.
(٤) البقرة: ١٧٢.

في قوله تعالى {**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}(١)

وما أثنى به أيضا على نوح (عليه السلام) في قوله تعالى {**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً**}(٢).

والمتدبر لآي القرآن الكريم يتبين له أن الله (تعالى) قسم الناس إلى شكور وكفور وبين أن أبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله قال تعالى: {**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**}(٣) وهذا كثير في القرآن الكريم يقابل سبحانه بين الشكر والكفر فهو ضده، وما دام الله (تعالى) يحب الشاكرين فهذا من أقوى الأدلة على علو منزلة الشكر ورفعة درجات الشاكرين ولذلك نلاحظ أن الله (تعالى) كثرا ما يعلق الجزاء على المشيئة في كثير من الأحوال ولكنه يطلق ذلك بالنسبة للشاكرين من عباده كما في قوله تعالى {**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**)}(٤).

و قوله تعالى: {**وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**}(٥) وإذا عرفنا أن الله عز شأنه بين في كتابه الكريم أنه (تعالى) جعل الشكر هو الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق وأمرهم بما أمرهم به تبين لنا بوضوح أن منزلته من أعلى المنازل كما تقدم. قال سبحانه:

---

(١) النحل: ١٢٠: ١٢١.

(٢) الإسراء: ٣.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) آل عمران: ١٤٤.

(٥) آل عمران: ١٤٥.

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[1] ولهذه الآية نظائر كثيرة في القرآن الكريم يتضح من خلالها أن الله (ﷻ) خلق الخلق وأنعم عليهم بالنعم لكي يعبدوه ويشكروه ولهذا أخبر (ﷻ) أن رضاه في شكره فقال تعالى: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[2].

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الزمر: ٧.

المبحث الثامن

الأمر بالشكر في القرآن الكريم

بينا فيما سبق منزلة الشكر من الإيمان وثناء الله على الشاكرين، وبينـــا أن الشكر أعلى منازل السالكين وفوق منزلة الرضا، وأنه نصف الإيمان، ونتحدث في هذا المبحث عن الأمر بالشكر في القرآن الكريم.

وبالتدبر في آيات الله (ﷻ) يتبين لنا أن الله –عز شأنه– أمر عباده بـــشكره في كثير من آي القرآن الكريم وحثهم عليه ورغبهم فيه بأساليب متعددة وألـــوان مختلفة.

فتارة يأتي الأمر صريحا ليبين أنه تكليف قرآني من التكـــاليف الـــشرعية التي كلفنا الله (ﷻ) بها.

وتارة يبين لنا أن الشكر من الأمور التي يرضاها الله (ﷻ) لعبـــاده **وتـــارة** يأتي الأمر بالشكر بصيغة الاستفهام الذي يراد به الأمر، لأنـــه مـــن الأمـــور المستحقة الوقوع.

وفي بعض المواضع يتبين لنا أن الله (ﷻ) ينكر على من لا يـــشكرون الله (ﷻ) على نعمه التي تستحق الشكر، ويستقبح منهم هذا الصنيع، ولـــذلك يـــأتي الاستفهام بصيغة التوبيخ والتقريع لمن يسلك هذا السلوك وأحيانا يحـــث عبـــاده على الشكر ويحضهم عليه، مبينا لهم أن ما أنعم به عليهم من الـــنعم تـــستوجب منهم الشكر وسنذكر الآيات التي تدل على ذلك كله.

١– من الآيات التي جاء الأمر فيها صريحا بالشكر ليبين أنه تكليف قرآني قوله تعالى: **{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ}**[١] وهذا القول الكـــريم

---

(١) البقرة: ١٥٢.

أعني قوله: {**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**} أمرنا الله فيه بأمرين:

(الأمر الأول): أنه أمرنا بذكره **(فاذكروني)**.

(الأمر الثاني): أنه أمرنا بشكره **(واشكروا لي)** ونهانا أيضا عن الكفران في قوله: **(ولا تكفرون)** وقوله تعالى **(فاذكروني)** أي: بالطاعة قلبا وقالبا، فيعم الذكر باللسان والقلب والجوارح، وقوله **(أذكركم)** أي: أجازكم بالثواب وعبر عن ذلك بالذكر للمشاكلة ولأنه نتيجته ومنشؤه، وقوله **(واشكروا لي)** أي: اشكروا لي ما أنعمت به عليكم، واشكروا لي واشكروني، بمعنى واحد ولكن **(اشكروا لي)** أفصح مع الشكر ويلاحظ هنا أنه (ﷻ)، قدم الذكر على الشكر، لأن الذكر اشتغال بذاته تعالى والشكر اشتغال بنعمته، والاشتغال بذاته تعالى أولى من الاشتغال بنعمته، كما بين ذلك العلامة الألوسي (رحمه الله) تعالى:

وقوله: **(ولا تكفرون)** أي: لا تجحدوا نعمتي وتعصوا أمري، ومعلوم أن النهي عن الشيء أمر بضده، لكن يلاحظ هنا أن الله (ﷻ) أمر بالشكر ونهى عن الكفران أي: الجحود تأكيدا وبيانا أن ذلك تكليف من قبل الله (ﷻ) لعباده، وإنما جاء النهي عن الكفران والجحود عقب الأمر بالشكر مباشرة ليفيد عموم الأزمان، ومعنى هذا أن هذا التكليف ثابت على الدوام في جميع الأزمان وعلى جميع المكلفين.

٢- قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**}[1]

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله المؤمنين ويأمرهم بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم الله، والمراد بالطيبات كل ما يستطاب ويستلذ وهو من الحلال الذي

(١) البقرة: ١٧٢.

أحله الله (ﷻ) مع مراعاة القصد والاعتدال وعدم التوسع في المباحات.وبهذا إما أن تكون الآية الكريمة آمرة للمؤمنين بما يليق بشأنهم من طلب الطيبات وعدم التوسع في تناول ما رزقوا من الحلال وهذا لم يستفد من الأمر السابق في قوله: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}**[1] وإما أن تكون الآية آمرة للمؤمنين على طبق ما تقدم، وتكون فائدة تخصيصهم بالذكر بعد التعميم تشريفهم بالخطاب وتمهيدا لطلب الشكر، وقوله تعالى: **(واشكروا لله)** أي اشكروا لله على ما أنعم به عليكم من النعم الجليلة التي لا تعد ولا تحصى، وقوله: **(إن كنتم إياه تعبدون)** هذا القول الكريم يعتبر بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل دلالة واضحة على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وجلاله، وهذه العبادة الكاملة لا تتم على أبلغ وجه إلا بالشكر،لأنه من أجل العبادات لأجل ذلك جُعِلَ الشكر نصف الإيمان كما تقدمت الإشارة إلى ذلك فيما سبق.

قال العلامة الألوسي (رحمه الله) وهو يفسر قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**: [(يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي: مستلذاته أو من حلال،والآية إما أمر للمؤمنين بما يليق بشأنهم من طلب الطيبات وعدم التوسع في تناول ما رزقوا من الحلال وذا لم يستفد من الأمر السابق، وإما أمر لهم على طبق ما تقدم إلا أن فائدة تخصيصهم بعد التعميم تشريفهم بالخطاب وتمهيد لطلب الشكر، و(كلوا) لعموم جميع وجوه الانتفاع دلالة وعبارة (واشكروا لله) على ما أنعم به عليكم والالتفات لتربية المهابة **(إن كنتم إياه تعبدون ١٧٢)** بمنزلة التعليل

(١) البقرة: ١٦٨.

لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له كأنكم تخصونه بالعبادة وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهي لا تتم إلا بالشكر.لأنه من أجَلِّ العبادات ولذا جعل نصف الإيمان وورد من حديث أبي الدرداء مرفوعا يقول الله تعالى: "**إني والأنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري**"[1] والقول بأن المراد إن كنتم تعرفونه أو إن أردتم عبادته منحط من القول.][2]

٣- ومن الآيات التي جاء الأمر فيها صريحا بالشكر قوله تعالى: **{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**[3] وقوله **(قال يا موسى)** جملة مستأنفة كالتي قبلها وهي متضمنة لإكرام موسى واختصاصه بما اختصه الله به، وقوله: **(إني اصطفيتك على الناس)** أي:اخترتك على الناس المعاصرين لك، لأن معنى الاصطفاء: الاجتباء والاختيار، وقوله: **(برسالاتي)** أي: بأسفار التوراة، و**(بكلامي)** أي: بتكليمي إياك بغير واسطة، أو الكلام على حذف مضاف، أي: بإسماع كلامي، والمراد: فضلتك بمجموع هذين الأمرين، أي: الرسالة والتكليم من غير واسطة. فهو (ﷻ) امتن عليه بهذين النوعين العظيمين من أنواع الإكرام، وهما الرسالة والتكليم بغير واسطة كما تقدم.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والبيهقي في شعب الإيمان، وكذا الحاكم عن أبي الدر داء كما في(فيض القدير: ٤ / ٤٦٩ برقم ٦٠٠٨) و (كنز العمال: ١٦ /٣ برقم: ٤٣٦٧٤) وضعفه السيوطي في (الجامع الصغير) وكذلك الألباني في (ضعيف الجامع) (٤٠٥٢).

(٢) روح المعاني للألوسي ج٢ص٤١.

(٣) الأعراف ١٤٤.

ثم أمره سبحانه بأن يأخذ ما آتاه أي: أعطاه من هذا الشرف الكريم وأمره كذلك بأن يكون من الشاكرين على هذا العطاء العظيم والإكرام الجليل.

٤- ومن الآيات قوله تعالى **{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**[١] وفي هذا القول الكريم يأمر الله عباده بأن يأكلوا من الحلال الطيب، وأن يتركوا ما عداه من الخبيث كالميتة والدم وكل ما حرم الله أكله، ويأمرهم كذلك بأن يشكروه سبحانه على جزيل نعمه التي أنعم بها عليهم وان يعرفوا حقها وقوله: **(إن كنتم إياه تعبدون)** أي: إن كنتم تخصونه وحده بالعبادة ولا تعبدون غيره أو إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تعبدون الله، ويلاحظ هنا أن الفاء داخلة على الأمربالشكر،وإنما دخلت على الأمر بالأكل لأن الأكل ذريعة إلى الشكر.

قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله): [يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.][٢]

٥- ومن الآيات التي جاء الأمر فيها صريحا بالشكر، ما ذكره الله (ﷻ) على لسان إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، بقوله **{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** [٣] وقوله سبحانه:

---

(١) النحل ١١٤.

(٢) ج٢ ص٧٦٨.

(٣) العنكبوت: ١٦،١٧.

(فابتغوا عند الله الرزق) أي: اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم إلى الله تعالى لأن الله سبحانه هو الذي عنده الرزق كله فاسألوه من فضله ووحدوه دون غيره (واشكروا له) أي: على إنعامه عليكم وذلك لأن الشكر موجب لبقاء النعم وسبب للمزيد عليها، وقوله(إليه ترجعون) أي: بالموت ثم البعث لا إلى غيره.

٦- ومن الآيات التي جاء الأمر فيها صريحا بالشكر قوله تعالى **{بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**[١] وقوله **(بل الله فاعبد)** أي: أخلص العبادة له وحده أنت ومن اتبعك وفي هذا رد على المشركين الذين طلبوا من الرسول (ﷺ) أن يعبد أصنامهم، ووجه الرد ما يفيده التقديم من القصر حيث قال **(بل الله فاعبد)** وهذا يفيد قصر العبادة على الله وحده لا شريك له وقوله: **(وكن من الشاكرين)** إنعام الله تعالى عليك الذي يضيق عنه نطاق الحصر ومن أجلِّه أن هداك إلى التوحيد والدعاء إلى دينه وما اختصك به من الرسالة.

هذه الآيات التي جاء الأمر فيها صريحا بطلب الشكر، وتدعيما لمبدأ تلوين الخطاب في القرآن الكريم ولأنه من البيان العربي جاءت آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم تأمرنا بالشكر ولكن بأسلوب آخر كأن يبن الله أن الشكر من الأمور التي يرضاها الله لعباده والشيء الذي يرضاه الله لعباده فهو يحبه ويأمر به ويجازي عليه أحسن الجزاء، وأما الشيء الذي لا يرضاه الله لعباده فلا يحبه ولا يأمر به بل يعاقب من يأتي به، جاء ذلك في قوله عز شأنه: **{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**[٢] و قوله تعالى: "**إن تكفروا فإن الله غني عنكم**" أي: غير محتاج

(١) الزمر ٦٦.

(٢) الزمر: ٧.

إليكم ولا إلى إيمانكم ولا إلى عبادتكم له، لأن الله (ﷻ) هو الغني المطلق، ومع أن كفر الكافر لا يضره وإيمان المؤمن لا ينفعه، فهو سبحانه "لا يرضى لعباده الكفر" أي: لا يرضاه لأحد من عباده ولا يحبه ولا يأمر به، ونظير هذه الآية قوله تعالى: **{إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}**(١) ويؤيد ذلك أيضا ما ثبت في صحيح مسلم من قوله (ﷺ) [يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا](٢).

هذا وبعد أن بين (ﷻ) أنه لا يرضى لعباده الكفر بين بعد ذلك أنه يرضى لهم الشكر فقال سبحانه (وإن تشكروا يرضه لكم) أي: يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله: (وإن تشكروا) ويثبكم عليه، وإنما رضي لهم الشكر لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة، في الدنيا بزيادة النعم، وفي الآخرة بالثواب الجزيل على شكرهم وطاعتهم لله عز شأنه.

وقد يأمر الله (ﷻ) بالشكر ولكن بصيغة الاستفهام الذي يكون في معنى الأمر كما في قوله تعالى: **{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ}**(٣).

---

(١) إبراهيم: ٨.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ وخرجه مسلم أيضا من رواية قتادة عقب الرواية السابقة، وخرجه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد ١٥٤/٥، ١٧٧، وفي ١٦٠/٥ (الحلبي) من وجه آخر، والترمذي في كتاب صفة القيامة: باب ٤٤٨ / ٦٥٦. ٦٥٧، وابن ماجه في كتاب الزهد: باب ذكر التوبة ٢ /١٤٢٢ انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي تحقيق أ. د / الأحمدي أبو النور ج ٢ ص ٦٥٦.

(٣) الأنبياء: ٨٠

أي: فهل أنتم شاكرون لهذه النعمة التي أنعمنا بها عليكم قال الألوسي (رحمه الله): [(فهل أنتم شاكرون ٨٠) أمر وارد صورة الاستفهام لما فيه من التقريع بالإيماء إلى التقصير في الشكر والمبالغة بدلالته علي أن الشكر مستحق الوقوع بدون أم فسأل عنه هل وقع ذلك الأمر اللازم الوقوع أم لا.][1].

وأحيانا يأتي الأمر بالشكر ولكن بصيغة المنكر على من يتركون شكر الله تعالى، المستقبح لصنيعهم هذا لنهم كان ينبغي عليهم أن يبادروا بشكره خصوصا وهم يرون دلائل قدرته وآياته العظام في كل شيء ويتنعمون بنعمه التي لا يحصيها العد. ويظهر ذلك واضحا في قوله تعالى: {**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**}[2] والاستفهام في قوله (أفلا يشكرون) للتوبيخ والتقريع لعدم شكرهم للنعم التي أنعم الله بها عليهم.

قال الألوسي (رحمه الله): [(أفلا يشكرون٣٥) إنكار واستقباح لعدم شكرهم للمنعم للنعم المعدودة بالتوحيد والعبادة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أيرون هذه النعم أو يتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها.][3] ومثل ذلك قوله تعالى {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ**

(١) روح المعاني ج١٧ ص ٧٧.
(٢) يس ٣٣: ٣٥.
(٣) روح المعاني ج٢٣ ص ٩.

أَفَلا يَشْكُرُونَ}[1] وقوله (ﷻ): {**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۞لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ**}[2]

وقوله تعالى: **(فلولا تشكرون)** تحضيض على شكر الكل، وهذا أفيد خلافا لمن ذهب إلى أن الشكر يكون على عذوبة الماء فقط وذلك لن لولا هنا تحضيضية، والتحضيض: الحث على الشيء بشدة والله أعلم.

(١) يس ٧١: ٧٣.

(٢) الواقعة ٦٨: ٧٠.

المبحث التاسع

كثرة النعم المستوجبة لشكر الله تعالى

تحدثنا في المبحث السابق عن الأمر بالشكر في القرآن الكريم وبينا أن الأمر بالشكر لم يقتصر فيه على صيغة واحدة من صيغ الأمر، وإنما جاء بصيغ متعددة وأساليب مختلفة كل ذلك ليبين أنه من أوجب الواجبات على العباد.

ونتحدث في هذا المبحث بمعونة الله وتوفيقه عن كثرة النعم المستوجبة لشكر الله تعالى.

والنعم: جمع نعمة، والنِّعمة: ما أنعم به من رزق ومال وغيره والحال الحسنة والصنيعة، والنَّعمة: الرفاهية وطيب العيش، والإنعام إيصال الإحسان إلى الغير.

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: [نعم: النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش، يقال لله تعالى عليه نعمة، والنِّعمة المنة وكذا النَّعماء، والنَّعمة: التنعم وطيب العيش، قال الله تعالى: {**وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**}(١).](٢)

وجاء في المعجم الوسيط: [النعمة:الرفاهية وطيب العيش، يقال هو في نعمة عيش: في حسنه وغضارته وأفعله نعمة عين: إكراما لعينك (النعمة): انعم به من رزق ومال وغيره والحال الحسنة والصنيعة. ويقال: لك عندي نعمة لا

(١) الدخان: ٢٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ص ١٠٣٥، طبعة دار الفكر تحقيق شهاب الدين أبو عمرو.

تنكر: منة وفضل (ج) نعم وأنعم، ويقال: أفعله نعمة عين: أفعله إكراما لعينك.][1]

وقال الجرجاني في تعريفاته: [النعمة: هي ما قصد به الإحسان والنفع لا لغرض ولا لعوض.][2]

وقال الراغب في مفرداته: [نعم: النِّعمة: الحالة الحسنة وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجِلْسة والرِّكبة، والنَّعمة: التنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة والنِّعمة للجنس تقال للقليل والكثير، قال "**(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)**– (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)**(وأتممت عليكم نعمتي)** – **(فانقلبوا بنعمة من الله)**" إلى غير ذلك من الآيات، والإنعام أيضا الإحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين، فإنه لا يقال: أنعم فلان على فرسه، قال **(أنعمت عليهم)** – **(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه)** **(وأنعمت عليه)**، والنعماء بإزاء الضراء، قال (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) والنُّعْمى نقيض البُؤسى، قال (إن هو **إلاعبد أنعمنا عليه)**، والنعيم النعمة الكثيرة، قال **(في جنات النعيم)**، وقال **(جنات النعيم)** وتنعم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش، يقال نعَّمه تنعيما فيتنعم أي: جعله في نعمة أي: لين عيش وخصب، قال**(فأكرمه ونعمه)** وطعام ناعم وجارية ناعمة.][3]

---

(١) المعجم الوسيط ص ٩٣٥، ٩٣٦مجمع اللغة العربية الطبعة الرابعة١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٢٩٨.

(٣) المفردات للراغب ص ٤٩٩.

وبعد فمن هذه النقول يتبين لنا أن المراد بالنعمة ما انعم به من مال ورزق وغيره وكذلك الحال الحسنة والصنيعة وأي شيء قصد به الإحسان والنفع: نعمة، والإنعام إيصال الإحسان إلى الغير. وحينما نتدبر كتاب الله (ﷻ) يتبين لنا بوضوح أن نعم الله المستوجبة للشكر والجديرة بالثناء والحمد كثيرة لا يحصيها العد ولا يحيط بها الحصر ويؤيد ذلك قوله سبحانه: **{وإن تعدو نعمت الله لا تحصوها}** من ذلك: نعمة الوجود والخلق والإمداد بوسائل الإدراك والمعرفة من السمع والبصر والعقل.

يقول تعالى: **{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**(١)

ففي هذه الآية الكريمة يبين سبحانه منته على عباده لأنه هو الذي أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ثم بعد ذلك أمدهم بالسمع الذي يدركون به الأصوات والأبصار التي يدركون بها المرئيات والأفئدة وهي العقول ومركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ، وفائدة العقل كما هو معلوم أنه يقع التمييز به بين الضار والنافع، وهذه القوى تحصل للإنسان على التدريج كلما كبر ونما زيد له فيها حتى يبلغ أشده وإنما منح الله (ﷻ) الإنسان هذه الحواس ليتمكن بها من معرفة الله وعبادته ويقوم بما افترضه الله عليه، وجملة القول أن هذه نعم انعم الله بها على الإنسان لكي يقوم بشكره ويصرف هذه النعم فيما خلقت لأجله ولا يبددها فيما لا طائل تحته، ونظير ذلك قوله تعالى: **{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**(٢) وقوله: **(قل هو الذي أنشأكم)** أي: ابتدأ خلقكم

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الملك: ٢٣،٢٤.

بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا.فالله سبحانه يأمر رسوله (ﷺ) بأن يذكرهم بهذه النعمة العظيمة لأنه سبحانه هو الذي ابتدأ خلقهم وأنشأهم النشأة الأولى بعد أن كانوا عدما وجعل لهم السمع الذي به يسمعون والأبصار التي بها يبصرون وإنما أفرد السمع ههنا وجمع الأبصار، وفي غير ذلك من المواضع لأن السمع مصدر يطلق على القليل والكثير، وجعل لهم كذلك "الأفئدة" وهي القلوب التي يتفكرون بها في مخلوقات الله، وبالجملة فقد ذكر سبحانه في هذه الآية ما يدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات.إيضاحا للحجة وقطعا للمعذرة وذما لهم على عدم شكرهم نعم الله، ولهذا قال: **(قليلا ما تشكرون)** وقوله تعالى:

(قليلا ما تشكرون) أي: تشكرون شكرا قليلا أو زمانا قليلا، أو أن المراد بقلة الشكر: عدم وجوده أصلا، وقوله تعالى: "**قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**" أي: هو الذي خلقكم في الأرض ونشركم فيها وفرقكم على ظهرها وأن حشركم للجزاء إليه لا إلى غيره.

قال الحافظ ابن كثير وهو يفسر قوله تعالى: **{والله أخرجكم من بطون أمهاتكم.....الآية}**: [ثم ذكر تعالى منته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات والأبصار التي بها يحسون المرئيات والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده. وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه. كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: [يقول

تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبنه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه](١)

فمعنى الحديث:أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله (ﷻ)، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا لله أي: ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله (ﷻ)، مستعينا بالله في ذلك كله، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح بعد قوله: [ورجله التي يمشي بها] [فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي] ولهذا قال تعالى: **{وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}** كقوله تعالى في الآية الأخرى:**{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]**(٢) وقال في موضع آخر: [وقوله تعالى: **(قل هو الذي أنشأكم)** أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا **(وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)** أي: العقول والإدراك **(قليلا ما تشكرون)** أي: قلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وتترك زواجره.

---

(١) أخرجه البخاري في ٨١- كتاب الرقاق: ٣٨ – باب التواضع ١١/ ٣٤٠ – ٣٤١ ح٦٥٠٢ عن أبي هريرة، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٥٠٠٤/١، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٢٩١ جامع العلوم والحكم ج٣ ص ٥٧٠١ تحقيق أ.د / الأحمدي أبو النور.

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ص ٧٥٤،٧٥٥.

(قل هو الذي ذرأكم في الأرض) أي: بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلالكم وأشكالكم وصوركم. **(وإليه تحشرون)** أي: تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم.][1].

ومن النعم العظيمة التي امتن الله بها على عباده وذكرها في كتابه في مواضع متعددة نعمة الغذاء وذلك لأن الغذاء به قوام البدن فالبدن لا ينمو ويقوى ويشتد إلا إذا أخذ ما يكفيه من الغذاء المتوازن الذي يحتاج إليه، ومن رحمة الله بالإنسان أن أوجده من الأرض ويسر له سبل العيش فيها وذللها له وأوجد له كل ما يحتاج إليه سواء كان مطعوما أو مشروبا أو يؤكل على سبيل التفكه، وقد أشار سبحانه إلى هذا الأمر في مواضع كثيرة من كتابه،
من ذلك قوله تعالى: **{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ}**[2]، وقوله: **(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها)** أي دلالة لهم على وجود الله وقدرته ووحدانيته، فإن الأرض الميتة إذا كانت هامدة خالية من الزروع،والثمار وأراد الله إحياءها انزل عليها الماء فنراها بعد ذلك اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وهذا من أوضح الأدلة على قدرة الله (ﷻ) على البعث وإحياء الموتى بعد موتهم فإنه إذا أحيا الأرض الميتة بالنبات فإنه قادر على بعث الأجساد مرة أخرى وإحياء الموتى، وبعد بيان هذا الأمر يذكر ما امتن به عليهم من إخراج الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله: **(وأخرجنا منه حبا فمنه يأكلون)** وهو ما يقتاتونه

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص٥١١، ٥١٢.
(٢) يس: ٣٣: ٣٥.

من الحبوب وقدم قوله: **(منه)** ليبين أن الحب معظم ما يؤكل ويقوم به المعاش ويعتمد عليه في الغالب **(وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب)** أي:جعلنا في الأرض جنات من أنواع النخيل والعنب، وإنما خص سبحانه "النخيل والأعناب" بالذكر لأنهما أعلى الثمار وأنفعها للعباد، **(وفجرنا فيها من العيون)** أي فجرنا فيها بعض العيون، وهي عيون الماء،وقوله **(ليأكلوا من ثمره)** أي: من ثمر الجنات والنخيل والأعناب، **(وما عملته أيديهم)** أي: ليأكلوا من ثمره ويأكلوا مما عملته أيديهم أي: ما غرسوه أو صنعوه، وهذا على أن (ما) موصولة، وقيل إن (ما) نافية ويكون المعنى: ليأكلوا من ثمره ولم يعملوه، أي: ليس لهم دخل في صنعه بل العامل له هو الله (ﷻ)، وهذا من أوضح الأدلة على أن المذكور كله من نعم الله (ﷻ) على عباده، وكان ينبغي عليهم أن يشكروه على ذلك، ولهذا وبخهم على ترك الشكر، ونظير ذلك قوله سبحانه: **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ}**[1] ومن جلائل النعم وأعظمها وأكثرها نفعا للإنسان بوجه عام نعمة الماء ونعمة الهواء وتسخير البحار والأنهار والفلك التي تجري في البحر بأمره ونعمة الشمس ونعمة القمر ونعمة الليل ونعمة النهار وتسخير ذلك كله لخدمة الإنسان.

وإنما قلنا إن الماء نعمة من نعم الله لأن الله جعل من الماء كل شيء حي كما هو واضح ومعلوم والهواء لا يستغني عنه مخلوق من مخلوقات الله، والبحار والأنهار سخرها الله بما فيها لخدمة الإنسان، وكذلك الشأن بالنسبة للشمس والقمر والليل والنهار كل ذلك مسخر بقدرة الله وإرادته لخدمة الإنسان بوجه عام وقد بين ذلك رب العزة في مواضع متعددة من القرآن الكريم من ذلك

(١) يس: ٧١: ٧٣.

قوله: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**}(١)

وفي هذه الآيات الكريمات يعدد الله (ﷻ) نعمه على خلقه مبينا لهم أنه سبحانه خلق لهم السماوات سقفا محفوظا وجعل لهم الأرض فراشا ومهدها لهم وجعلها ذلولا ليمشوا في مناكبها ويأكلوا من رزقه، وأنزل لهم من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى ما بين زروع وثمار مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر لهم الفلك بأن جعلها طافية على سطح ماء تجري عليه بأمر الله تعالى وإرادته وسخر البحر لحمل الفلك وذلك ليستطيع المسافرون أن يصلوا إلى أي مكان يريدون ويتيسر لهم تبادل المنافع والتجارات وسخر النهار كذلك تشق الأرض من مكان إلى مكان رزقا للعباد ليشربوا منها ويسقوا زروعهم وأنعامهم وينتفعوا بها.

وقوله: **(وسخر لكم الشمس والقمر دائبين)** أي: يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا لتنتفعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما **(وسخر لكم الليل والنهار)** أي: يتعاقبان، فالنهار للسعي في أمور المعاش وما يحتاج إليه الإنسان من أمور دنياه والليل للسكن والراحة **{وآتاكم من كل ما سألتموه}** أي: أعطاكم من كل شيء سألتموه، وقيل آتاكم من كل ما سألتموه ومن كل ما لم تسألوه، وقوله: **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** أي: وإن تتعرضوا لتعداد نعم الله التي أنعم بها عليكم إجمالا فضلا عن التفصيل لا تطيقوا إحصائها بوجه من الوجوه ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال، وهذا إخبار من الله سبحانه بعجز

(١) إبراهيم ٣٢: ٣٤.

العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها وقوله: **(إن الإنسان لظلوم كفار)** أي: ظلوم لنفسه بإغفاله لشكر نعم الله عليه، وظاهر هذا القول الكريم أنه يشمل كل إنسان وقيل المراد بالإنسان: اسم جنس يقصد به الكافر خاصة، كما قال تعالى (إن الإنسان لفي خسر)، و(كفار) أي: شديد كفران نعم الله عليه جاحدا لها غير شاكر لله سبحانه عليها كما ينبغي ويجب عليه، ونظير الآيات المتقدمة قوله سبحانه: **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً}** (١) وقوله: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**(٢) وقوله تعالى:**{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ . وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**(٣) وقوله تعالى: **{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}**(٤) وقوله تعالى:**{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي**

(١) الفرقان: ٦٢.
(٢) القصص: ٧١: ٧٣.
(٣) الجاثية ١٢: ١٣.
(٤) لقمان: ١٠.

اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ}[1] وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ۞أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}**[2] وقوله تعالى: **{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ۞وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۞يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ۞إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}**[3]

هذا ولو ذهبنا نتقصى نعم الله الظاهرة والباطنة لطال بنا الحديث وإن العقل ليعجز عن وصف نعمة من نعمه والإحاطة بها فضلا عن الإحاطة بأنعم الله وآلائه كلها، وصدق الله العظيم: **{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}**[4].

---

(١) لقمان: ٢٠.

(٢) لقمان ٢٩: ٣١.

(٣) فاطر: ١١: ١٤.

(٤) النحل: ١٨.

وما ذكرناه مجرد أمثلة لبعض نعم الله تعالى، ومن أراد معرفة المزيد فعليه أن يمعن النظر في القرآن الكريم، وأن يقف عند الآيات التي ذكرت كثيرا من نعم الله تعالى وبخاصة ما جاء في بعض السور التي كثر فيها الحديث عن ذكر النعم كسورة النحل التي تسمى بسورة النعم بسبب ما عدد الله فيها من النعم.

وقبل أن ننتهي من هذا المبحث أريد أن أبين حقيقة النعمة كما ينبغي أن تعرف ثم أختم هذا المبحث بذكر نعمة من نعم الله (ﷻ) هي أعظم النعم على الإطلاق.

أما حقيقة النعمة فربما اختلف مفهوم الناس فيها بوجه عام لأن كثيرا من الناس يفهمون أن كل خير ولذة وسعادة ومطلوب ومؤثر هذا هو مفهوم النعمة عندهم، ولكن النعمة الحقيقية فيما أرى هي السعادة الأخروية وما يوصل إليها، وبناء على ذلك فكل ما ينفع الإنسان في دنياه وأخراه من قبيل النعمة الحقيقية وكل ما يجلب إليه الضرر في حاله ومآله فهذا من قبيل النقم والمحن التي تقع بالإنسان، وأما ما يضره في حاله وينفعه في مآله كالبلاء مثلا فهذا أيضا من قبيل النعمة لأن ذلك وإن كان ضارا به في الحال إلا أنه ينفعه في مستقبل أمره إن قابل ذلك بالرضا والصبر والاحتساب.

قال الإمام الغزالي في إحيائه وهو يبين حقيقة النعمة ما نصه:

[اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا، ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق، فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لجل أنه يفضي إلى

النعمة الحقيقية. والأسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات: (القسمة الأولى) أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا وألآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ بإتباع الشهوة، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل: كقمع الشهوات ومخالفة النفس، فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ، ومثله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه. والضار في الحال نافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال: ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيئ إليه أسبابه فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها، فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال، والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم عدوا باطنا في سورة صديق، لأن منعه إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل، وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل، فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو.][1]

وأما النعمة التي أريد أن أختم بها هذا المبحث وهي أعظم النعم على الإطلاق فهي نعمة الدين الذي شرعه الله لعباده المسلمين وأكمله وأتمه ورضيه

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص ١٢٤.

لهم وهداهم إلى الإيمان به فهذه في الواقع نعمة عظيمة بل هي أعظم النعم على الإطلاق كما تقدم وذلك لأن الدين هو الذي يكفل السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية لمن يؤمن به ويسير على منهاجه ويؤيد ما ذكرناه ويوضحه قوله تعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً**}[1]

ولأجل هذا رأينا المؤمنين الخُلَّص يدعون الله صباح مساء كما امرهم بقوله سبحانه: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّين**} والصراط المستقيم كما هو معلوم هو: الإسلام أو القرآن وما جاء به رسول الله (ﷺ) وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وبهذا يتضح أن من هُدِيَ إلى الصراط المستقيم ولازم السير فيه فقد أنعم الله عليه بأعظم النعم كما أنعم على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال ابن جرير (رحمه الله): [والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي أعني – اهدنا الصراط المستقيم – أن يكون معنيا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، ذلك هو الصراط المستقيم لأن من وُفِقَ لما وُفِقَ له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والإنزجار عما زجره عنه وإتباع منهاج النبي (ﷺ) ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم][2]

(١) المائدة: ٣.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ٤٢.

وقال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) وهو يفسر قوله تعالى: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}:

[وقوله "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الأنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى:

{**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا**} أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** أي فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: **(اليوم أكملت لكم دينكم)** وهو الإسلام، أخبر الله نبيه (ﷺ) والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه اله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا.][1] وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن كثرة النعم المستوجبة لشكر الله تعالى ونتحدث بعد ذلك إن شاء الله عن ثمرات الشكر.

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٩: ٢٠.

المبحث العاشر

ثمرات الشكر

شكر الله تعالى نوع من الاعتراف بالجميل وأداء الحق لمستحقه لأن الشكر يكون باللسان وبالقلب وبالجوارح وبيان ذلك أنه ثناء على المحسن الله بذكر الإحسان وإظهار النعمة والاعتراف بها وهذا باللسان وأن يعتقد العبد بقلبه هذا وأن يستعمل النعمة فيما خلقت لأجله وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل ولهذا ثمار عظيمة وفوائد جمة أولها:

١- أن فائدة الشكر ومنفعته تعود على الشاكر نفسه

فهو أول من ينتفع بهذه الفوائد ويجني هذه الثمار ويبين ذلك ويشهد له قوله سبحانه على لسان سليمان (عليه السلام): **{قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**[1].

وسليمان (عليه السلام) كما هو معلوم آتاه الله الملك والنبوة، وقال هذا القول بعد أن طلب من جنوده الحاضرين أن يأتوه بعرش بلقيس بأقصى سرعة وفي أقل وقت ممكن حتى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك كما حكى القرآن الكريم، فلما رآه مستقرا عنده اعترف بفضل ربه وبنعمه الجزيلة عليه كما حكاه القرآن على لسانه بقوله تعالى:

{هذا من فضل ربي} إلى آخر ما ذكر القرآن عنه، وقوله تعالى: **(هذا من فضل ربي)** أي هذا من جملة نعم الله عليَّ **(ليبلوني)** أي: ليختبرني، **(أأشكر أم أكفر)** أي: أأقوم بشكر هذه النعم كما ينبغي لجلال وجه الله وعظيم سلطانه **(أم أكفر)** وأكون من الجاحدين لهذا الفضل العظيم.

---

(١) النمل: ٤٠.

وقوله: **(ومن شكر فإنما يشكر نفسه)** أي: ومن قام بشكر نعم الله عليه فإنما يعود نفع ذلك الشكر وثوابه على الشاكر نفسه ونظير ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:**{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}**(١).

وقوله تعالى: **{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}**(٢)

وقوله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}**(٣)

وقوله تعالى: **{ومن كفر فإن ربي غني كريم}** أي: غني عن العباد وعبادتهم، **(كريم)** أي: كريم في نفسه وإن لم يعبده أحد، وذلك لأن الله (ﷻ) لا يفتقر إلى أحد من خلقه والكل فقراء إليه، كما قال تعالى على لسان موسى (عليه السلام): **{وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}**(٤).

وقوله تعالى: **(ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد)** قال الإمام الفخر الرازي (رحمه الله) في تفسيره الكبير عند تفسيره لقوله تعالى **(قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر.....الآية)**: [ثم إنه (عليه السلام) لما رآه مستقرا عنده قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، والكلام في تفسير الابتلاء قد مر غير مرة، ثم إنه (عليه السلام) بين أن نفع الشكر عائد إلى الشاكر لا إلى الله تعالى، أما أنه عائد إلى الشاكر فلوجوه

---

(١) الجاثية: ١٥.

(٢) الروم: ٤٤.

(٣) لقمان: ١٢.

(٤) إبراهيم: ٨.

(أحدها): أن يخرج عن عهدة ما وجب عليه من الشكر.

(وثانيها): أنه مستمد به المزيد على ما قال (لئن شكرتم لأزيدنكم).

(وثالثها): أن المشتغل بالشكر مشتغل باللذات الحسية وفرق ما بينهما كفرق ما بين المُنعِم والنعمة في الشرف، ثم قال (ومن كفر فإن ربي غني كريم)، غني عن شكره لا يضره كفرانه وكريم لا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر][1]

٢- من فوائد الشكر وثمراته أنه دافع للبلاء ومانع من وقوع العذاب

يدل على ذلك قوله تعالى: **{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً}**[2] وقوله تعالى: **(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)** الخطاب في هذا القول الكريم للمنافقين وقيل للمؤمنين وأيا ما يكن الأمر فالمعنى – والله أعلم – "**ما يفعل الله بعذابكم**" أي: أيعذبكم بقصد التشفي أم بقصد النفع الذي يرجوه منكم أم دفعا لضرر يتوقعه منكم، كل ذلك بالنسبة لله (ﷻ) محال لأنه سبحانه غني لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنافع ودفع المضار.

وإنما المقصود من ذلك أن يحمل المكلفين على الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة وأن يحترزوا عن القبائح والمحرمات، فإذا أتى المكلفون بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة وتركوا القبائح والمحرمات، فهل يليق بكرمه سبحانه بعد ذلك أن يعذبهم إن هذا من الأمور التي لا تليق بشأنه (ﷻ) ولذلك قال: **(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)** أي: لا يعود عليه ذلك لا بجلب نفع ولا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٤ ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) النساء: ١٤٧.

بدفع ضر **(وكان الله شاكرا عليما)** أي: مثيبا على الشكر عليما بالكليات والجزيئات كما هو بين.

٣- من فوائد الشكر وثمراته أنه يطهر نفس الشاكرويقربه من ربه ويوجهه إلى بذل النعم وإنفاقها في وجوهها النافعة.

مما تعود فائدته على الأفراد والجماعات وذلك لأن الشاكر يعترف بلسانه كما تقدم بنعم الله عليه ويذعن قلبه بذلك وتشكر جوارحه كلها لله ويستعمل النعمة فيما خلقت لأجله، فهو يستغل النعمة دائما بأنواعها في طاعة المنعم (ﷻ). وكلما تكرر ذلك منه ازداد صفاءً في نفسه وطهارة في قلبه وقربا من الله (ﷻ) ولعل ما يشهد لذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّةٍ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله .فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله. ما اسمك؟ قال فلان: للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هنا ماؤه، يقول اسق حديقة فلان لاسمك. فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها. فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه " (١)

٤- الشكر سبب لزيادة النعم ودوامها

من الفوائد المهمة والثمرات العظيمة للشكر أنه سبب لزيادة النعم ودوامها والمحافظة عليها والدليل على ذلك قوله تعالى كما جاء على لسان موسى (عليه السلام)

(١) أخرجه مسلم كتاب الزهد باب فضل الإنفاق على المساكين وابن السبيل صحيح مسلم بشرح النووي ج١٨ ص ١١٤.

{**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**}[1] وقوله تعالى: **(وإذ تأذن ربكم)** هذا من جملة ما قال موسى (عليه السلام) لقومه ومعناه : آذن إيذانا بليغا وأعلمكم إعلاما لا يبقى معه شبهة بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه وقوله تعالى: **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم التي خولتكم إياها وقابلتموها بالإيمان أو الثبات عليه وبالإخلاص فيه والعمل الصالح مع الاعتراف بالنعم والثناء على المنعم **(لأزيدنكم)** أي: لأزيدنكم نعما إلى نعم **(ولئن كفرتم)** أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها **(إن عذابي لشديد)** ويكون ذلك بسلب النعم عنهم وعقابه إياهم بسبب كفرانهم لنعم الله عليهم ولعل ما يؤيد ذلك ما جاء في الحديث الذي قال فيه (ﷺ) "إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"[2] وقول الصحابة (رضي الله عنهم) "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة"

قال الإمام فخر الدين الرازي (رحمه الله) في تفسيره الكبير:

[قوله تعالى **(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)** اعلم أن قوله **(وإذ تأذن ربكم)** من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم، ومعنى تأذن: أذن ربكم، ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل، ولابد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قيل: وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك، وتنزاح الشبهة، والمعنى: وإذ تأذن ربكم فقال **(لئن شكرتم)**

---

(١) ابراهيم: ٨.

(٢) قال العجلوني[٧٠٠ – (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن ثوبان وصححه بزيادة (ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر).أ.هـ] كشف الخفاء ج١ ص ٢٦٤.

فأجرى (تأذن) مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود (ﷺ) **(وإذ قال ربك لئن شكرتم)** واعلم أن المقصود من الآية بيان ان من اشتغل بشكر نعم الله زاده الله من نعمه، ولابد هنا من معرفة حقيقة الشكر ومن البحث عن تلك النعم الزائدة الحاصلة عند الاشتغال بالشكر، أما الشكر فهو عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وأما الزيادة في النعم فهي أقسام: منها النعم الروحانية، ومنها النعم الجسمانية، أما النعم الروحانية فهي: أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة أقسام نعم الله تعالى وأنواع فضله وكرمه، ومن كثر إحسانه إلى الرجل أحبه الرجل لا محالة، فشغل النفس بمطالعة أنواع فضل الله وإحسانه يوجب تأكد محبة العبد لله تعالى، ومقام المحبة أعلى مقامات الصديقين، ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة إلى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات إلى النعمة، ولا شك أن منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفته، فثبت أن الاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحانية، وأما مزيد النعم الجسمانية، فلأن الاستقراء دل على أن من كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر، كان وصول نعم الله إليه أكثر، وبالجملة فالشكر إنما حسن موقعه، لأنه اشتغال بمعرفة المعبود، وكل مقام حرك العبد من عالم الغرور إلى عالم القدس فهو المقام الشريف العالي الذي يوجب السعادة في الدين والدنيا. وأما قوله: **(ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)** فالمراد منه الكفران لا الكفر، لأن الكفر المذكور في مقابلة الشكر ليس إلا الكفران والسبب فيه أن كفران النعمة لا يحصل إلا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله، والجاهل بها جاهل بالله، والجهل بالله أعظم أنواع العقاب والعذاب وأيضا فههنا دقيقة أخرى وهي أن ما سوى الواحد الأحد الحق ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فوجوده إنما يحصل بإيجاد الواجب لذاته وعدمه إنما يحصل بإعدام

الواجب لذاته، وإذا كان كذلك. فكل ما سوى الحق فهو منقاد للحق مطواع لـــه، وإذا كانت الممكنات بأسرها منقادة للحق سبحانه فكل قلب حـــضر فيـــه نـــور معرفة الحق وشرف جلاله،انقاد لصاحب ذلك القلب ما سواه، لأن حضور ذلـــك النور في قلبه يستخدم كل ما سواه بالطبع، وإذا خلا القلب عـــن ذلـــك النـــور ضعف وسار خسيسا فيستخدمه كل ما سواه ويستحقره كل مـــا يغـــايره فبهـــذا الطريق الذوقي يحصل العلم بأن الاشتغال بمعرفة الحق يوجب إنفتـــاح أبـــواب الخيرات في الدنيا والآخرة، وأما الاعراض عن معرفة الحق بالاشتغال بمجرد الجسمانيات يوجب انفتاح أبواب الآفات والمخافات في الدنيا والآخرة.][1]

وما ذكرناه نقلا عن الفخر الرازي يؤيد ما تقدم والله أعلم.

وقبل أن ننتهي من هذا المبحث نبين نقطة مهمة وهي: أن الآية التي نحـــن بصددها أعني: قوله تعالى: **(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَـــرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)** استدل بها أهل العلم على أن شكر الله تعالى واجب وهذا مما اجمع عليه أهل السنة والمعتزلة إلا أنهم اختلفوا بعد ذلك هل هذا الوجوب ثبـــت بالشرع أو بالعقل، فأهل السنة على أن الوجـــوب ثابـــت بالـــشرع، والمعتزلـــة يقولون إن الوجوب ثبت بطريق العقل، وقد ذهب المعتزلة إلى هذا الرأي بنـــاء على قولهم بالحسن والقبح العقليين، وهذا غير مسلم لهم في الجملة، ومن ناحية أخرى فالآيةلاتشهد لهم وقد سبق الكلام فيما تقدم في هذا الأمر فليراجـــع فـــي محله.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٩ ص ٨٥، ٨٦.

المبحث الحادي عشر

عاقبة الجحود

بينا فيما تقدم فوائد الشكر وثمراته التي تعود علي الفرد والمجتمع،ونري من تمام الفائدة بعد أن استبان لنا هذا الأمر أن نتحدث عن عاقبة الجحود والكفران وذلك قصدا للعبرة والعظة وهذا منهج تعلمناه من القرآن الكريم لأن المتدبر في آيات الله يجد في كثير من المواضع أن الله (ﷻ) بعد أن يذكر أحوال الشاكرين لنعمه المنيبين إليه (ﷻ) يذكر حال الكافرين بالنعمة المعرضين عنه جل شأنه وذلك للموعظة والتحذير لمن كفر بالنعم وأعرض عن المنعم، وقبل أن نبين عاقبة الجحود والنكران نبين معني الجحود والمراد به.

قال ابن فارس: [جَحَدَ: الجيم والحاء والدال أصل يدل علي قلة الخير: يقال عام جَحِدٌ قليل المطر،ورجل جَحِد:فقير، وقد جَحِدَ وأجْحَد قال ابن دريد: والجَحد من كل شيء القلة.

قال الشاعر [الرجز] ولن يري ما عاش إلا جحدا، وقال الشيباني (أجحد الرجل وجحد إذا أنفض وذهب ماله وأنشد للفرزدق [الطويل]

وبيضاء من أهل المدينة لم تذق بئيسا ولم تتبع حَمَولة مُجْحِد

ومن هذا الباب الجحود، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به انه صحيح- قال الله تعالي: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}**[1]، وما جاء جاحد بخير قط][2]

(١) النمل: ١٤.

(٢) معجم المقاييس لابن فارس ص ٢٠٢.

وجاء في المعجم الوسيط: [جحد الأمر و به- جحدا، وجحودا أنكره مع علمه به وفي التنزيل العزيز.{**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**} وفلانا حقه وبحقه: لم يعترف به.

(جَحِدَ)-جَحَدا: قل خيره لفقر أو بخل.فهو جَحِدٌ وجَحْدٌ.وهو أجحد وهي جحداء (ج) جحد، والعام: قل مطره- والأرض:صارت يابسة لا خير فيها والنبات قل ولم يطل. والعيش:ضاق واشتد. (أجحد): ذهب ماله وقل خيره وفلانا:وجده بخيلا.][1]

وقال الراغب: [جحد: الجحود نفي ما في القلب إثباته واثبات ما في القلب نفيه، يقال جحد جحودا وجحدا قال (ﷻ): {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**} وقال (ﷻ) (بآيتنا يجحدون) ويجحد يختص بفعل ذلك يقال رجل جحد: شحيح قليل الخير يظهر الفقر، وأرض جحدة قليلة النبت، يقال جحدا له ونكدا أجحد صار أجحد][2].

ومما تقدم يتبين أن الجحود هو قلة الخير وعدم الإقرار والاعتراف بالنعمة ونفي ما في القلب إثباته واثبات ما في القلب نفيه والجحود ونكران الجميل شرما يبتلي به الإنسان بوجه عام وذلك لأنه يجعل المرء لا يبالي بنعم الله تعالي عليه ولا يهتم بما وهبه من أفضال ويترتب علي ذلك أن الإنسان الجاحد لا يحافظ علي النعم ولا يقوم بحراستها وإنما يبددها في غير طائل ولا منفعة فتتحول بذلك النعم إلي نقم والمنح إلي محن وتذهب الصحة والثروة وتضيع آلاء الله عبثا ولذلك كانت عاقبة الجحود والنكران عاقبة سيئة وعذاب أليم مدمر

(١) المعجم الوسيط ص١٠٧.

(٢) المفردات للراغب ص ٨٨.

لكل الجاحدين المنكرين لآلاء الله عليهم. وقد بين لنا القرآن الكريم في غير موضع هذا بأجلي بيان.

من ذلك قوله تعالي: **{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}**(١).

وقوله: (وضرب الله مثلا قرية) قيل المراد بالقرية مكة،وقيل المراد بالقرية مكة وقيل المدينة، والمعني والله أعلم–أن هذا مثل ضُرِبَ لأهل مكة أو لكل قوم أنعم الله تعالي عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فجوزوا بما جوزوا ودخل فيهم أهل مكة دخولا أوليا ولعله المختار كما بين ذلك الألوسي (رحمه الله): [وقوله: **(كانت آمنة)** أي: ذات أمن لا يأتي عليها ما يوجب الخوف كما يأتي علي بعض القرى من إغارة أهل الشر عليها وطلب الإيقاع بها، وقوله **(مطمئنة)** أي: ساكنة قارة لا يحدث فيها ما يوجب الانزعاج كما يحدث في بعض القرى من الفتن بين أهاليها ووقوع بعضهم في بعض فإنها قلما تأمن من إغارة شرير عليها وهيهات هيهات أن تري شخصين متصادقين فيها.

والمرء يخشي من أبيه وابنه ويخونه فيها أخوه وجاره

وقيل: يفهم من كلام بعضهم أن الاطمئنان أثر الأمن ولازمه من حيث أن الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان، وفي البحر أنه زيادة في الأمن **(يأتيها رزقها)** أقواتها **(رغدا)** واسعا **(من كل مكان)** من جميع نواحيها،وغير أسلوب هذه الصفة عما تقدم إلي ما تري من أن إتيان الرزق متجدد وكونها

(١) النحل ١١٣: ١١٢.

آمنة مطمئنة ثابت مستمر، وذكر الإمام أن الآية تضمنت ثلاث نعم جمعها قولهم:

ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والصحة والكفاية

فآمنة إشارة إلي الأمن **(مطمئنة)** إلي الصحة و**(يأتيها رزقها)** الخ. إلي الكفاية، وجعل سبب الاطمئنان ملائمة هواء البلد لأمزجة أهله وفيه تأمل.][1] **(فكفرت بأنعم الله)** أي: جحدت آلاء الله عليها ونتيجة لهذا الجحود أن بدلهم الله بدل الأمن والاطمئنان والرزق الواسع والعيش الهنيء،بالجوع والخوف **(فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)** أي بسبب صنيعهم السيئ، أي: ألبسهم الله لباس الجوع والخوف لأن الجوع والخوف أصبح يحيط بهم من كل مكان يحيط اللباس بالبدن، ونظير ذلك قوله تعالي: **{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}**[2]

وقوله تعالي: **(وكم أهلكنا من قرية)** هذا تعريض بأهل مكة وإنذار لهم لأن كثيراً من قري الماضين أهلكهم الله بسبب بطرهم وطغيانهم وقوله **(بطرت معيشتها)** آي: طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق ولم تقم بشكر النعمة وإنما جحدت ذلك كله وطغت وبغت،ولذلك قال الله تعالي **(فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا)** أي: دثرت ديارهم فلا تري إلا مساكنهم ولم تسكن إلا قليلا، وقوله: **(وكنا نحن الوارثين)** أي: رجعت خرابا ليس فيها أحد.

---

(١) انظر روح المعاني ج١٦ص ٢٤٢.

(٢) القصص: ٥٨.

وقد ذكر الله تعالى- في كتابه الكريم قصة سبأ لتكون مشهدا معروضا أمام أنظار الناس فيستخلصوا منها العبرة والموعظة الحسنة.

وهذه القصة ذكرها الله (ﷻ) بعد قصة آل داود التي بين الله (ﷻ) فيها الإيمان الصادق بالله (ﷻ) والشكر علي أفضاله وحسن التصرف في نعمائه، فبعد أن بين أحوال الشاكرين لنعمة المنيبين إليه تعالي ذكر حال الكافرين بالنعمة المعرضين عنه الذين أبطرتهم النعمة التي كانوا يتمتعون بها،وذلك موعظة لقريش وتحذيرا لمن كفر بالنعمة وأعرض عن المنعم.

قال تعالي: **{لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ۞فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}**[1]

قوله (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) سبأ: في الأصل اسم رجل وهو سبأ بن يشجب سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان.

والمراد بسبأ هنا: إما الحي أو القبيلة وإما الرجل علي تقدير مضاف أي:لقد كان في أولاد سبأ أو قبيلة سبا أو حي سبأ، والمعني والله أعلم: أن الله (ﷻ): يقسم أنه لقد كان في قبيلة سبأ أو في بلدة سبأ أو في أولاد سبأ آية، أي: علامة دالة علي وجود الصانع وقدرته، وأنه يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

(١) سبأ ١٩: ١٤.

وتبدأ قصتهم ببيان ما كانوا فيه من رزق ورغد ونعيم وقد طلب الله (ﷻ) منهم علي السنة رسله التي أرسلت إليهم أن يأكلوا من رزقه وأن يشكروه علي نعمه بتوحيده وعبادته. فظلوا كذلك ما شاء الله.

وهم قوم كانوا يسكنون اليمن وكانوا في ارض مخصبة وقد استطاعوا أن يرتقوا في سلم الحضارة بتوفيق الله لهم مما جعلهم يتحكمون في مياه الأمطار التي تصلهم من البحر في الجنوب والشرق فأقاموا خزانا طبيعيا يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا علي فم الوادي بينهما سدا به عيون تفتح وتغلق وخزنوا الماء بكميات كبيرة وراء السد وتحكموا فيها وفق حاجتهم فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم وقد عرف هذا السد باسم "سد مأرب" وهذه الجنان التي ذكرها الله تعتبر دليلا ورمزا علي الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل ولذلك فهي آية عظيمة من آيات الله (ﷻ) تذكر بالمنعم الوهاب وصدق الله إذ يقول: **(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال)**. وقد أمرهم الله (ﷻ) أن يستمتعوا بهذا النعيم وأن يقوموا بشكر المنعم علي ما أولاهم به من نعم فقد أنعم عليهم ربهم (ﷻ) بالبلدة الطيبة التي يطيب فيها العيش وفوق ذلك فهو رب غفور أي يغفر تقصيرهم إذا لم يقوموا بالشكر كما ينبغي.

(بلدة طيبة ورب غفور) فهي سعة في الرزق وطيب في العيش وسماحة من الله تعالي بالعفو والغفران.فلم يوجد من الأسباب ما يصرفهم عن الطاعة لله والشكر له سبحانه ولكنهم أبوا وأعرضوا فجازاهم الله (ﷻ) بما يستحقون من عقاب **(فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل)**.

أي: أعرضوا عن شكر الله (ﷻ) وأعرضوا كذلك عن العمل الصالح وأساءوا التصرف في نعم الله (ﷻ). فلم يستخدموها فيما خلقت لأجله وإنما

طغوا وبغوا وأبطرتهم النعمة، فسلبهم الله (ﷻ) سبب هذه النعمة وهذا الرخاء الذي كانوا يعيشون فيه ويتمتعون به وأرسل عليهم السيل الجارف الذي يحمل العرم في طريقه، وهي الحجارة لشدة تدفقه فتحطم السد بسبب ذلك وانساحت المياه في كل مكان، فطغت وأغرقت ولم يعد الماء يخزن بعد ذلك فجفت الجنان واحترقت وتبدلت تلك الجنان العظيمة التي كانوا ينعمون بها وتحولت إلي صحراء تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة وصدق الله في قوله: **(وبدلنهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل)** والمراد بالخمط شجر الأراك أو كل شجر ذي شوك، والأثل شجر يشبه الطرفاء.والسدر هو شجر النبق وهو أجود ما صار لهم ولم يعد لهم منه إلا قليل.

ثم يبين الله (ﷻ) أن ما حل بهم كان بسبب كفرهم **(ذلك جزيناهم بما كفروا)** أي: بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها وهذا هو الأرجح، وقيل بسبب كفرهم بالرسل الذين بعثوا إليهم.

وقوله: **(وهل بجازي إلا الكفور)** أي: ما نجازي مثل هذا الجزاء المستأصل إلا المبالغ في الكفران أو الكفر. وكانوا إلي هذا الوقت ما يزالون في قراهم وبيوتهم بعد أن ضيق الله عليهم في الرزق وبدلهم بدل الرفاهية والنعماء خشونة وشدة غير أنهم لم يمزقوا ولم يفرقوا لأن العمران كان متصلا بينهم وبين القرى المباركة وهي مكة في الجزيرة وبيت المقدس في الشام،وذلك لان اليمن كانت ما تزال عامرة في شمال بلاد سبأ ومتصلة بالقرى المباركة وكان الطريق بينهما عامرا ومطروقا ومسلوكا وكان مأمونا ويشهد لذلك قوله: **(وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قري ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين)** قيل إن المسافر كان يخرج من القرية فيدخل في الأخرى قبل دخول الظلام فكان يقيل في قريته ويبيت في الأخرى ولذلك

كان السفر فيها محدودا ومأمونا علي المسافرين وكانت الراحة موفورة بتقارب المسافات وكثرة المنازل التي ينزلون فيها ومع ذلك غلبت الشقوة عليهم ولم ينتفعوا بالنذير الأول ولم يعودوا إلي الله بالاعتراف بالذنب والتضرع إليه لعله يتوب عليهم ويرد عليهم ما سلبه منهم من الرخاء والنعيم.ولكنهم دعوا الله دعوة تدل علي غبائهم وحمقهم وإصرارهم علي كفرهم وطغيانهم حين طلبوا منه أن يباعد بين أسفارهم **(وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا)** أي: أنهم طلبوا من الله سبحانه الأسفار البعيدة المدى علي مدار العام ولم تعجبهم الأسفار القصيرة المتداخلة المنازل وأنها لا تشبع لذتهم وهذا دليل واضح علي شدة بطرهم وظلمهم لأنفسهم **(وظلموا أنفسهم)** بهذا الدعاء لان الله سبحانه أجابهم إلي طلباتهم ولكن كما ينبغي أن تستجاب دعوة البطر وقوله: **(فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)** أي أنهم جعلوا أحاديث تروى علي الألسنة ويتحدث الناس بها علي سبيل التلهي والاستغراب متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم وأحاديث جمع أحدوثة علي خلاف القياس وليس جمع حديث. **(ومزقناهم كل ممزق)** أي: شردوا ومزقوا وتفرقوا في أنحاء الجزيرة وتبدد شملهم شذر مذر وتفرقوا أيدي سبأ،وأصبحوا بعد ذلك مجرد أحاديث يرويها الرواة وقصة علي الألسنة والأفواه بعد أن كانوا أمة ذات وجود في الحياة، وقوله: **(إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)** أي: فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة ودلائل واضحة **(لكل صبار)** أي: شأنه الصبر علي الشهوات ودواعي الهوى وعلي مشاق الطاعات **(وشكور)** هو الذي من شأنه أن يشكر علي النعم،وإنما خص الله هؤلاء لأنهم المنتفعون بها.

وبعد، فمن أهم ما يستفاد من هذه القصة التي ذكرت في هذه الآيات السابقة أن عاقبة الجحود والكفران،عاقبة من أوخم العواقب لان الجزاء من جنس العمل

فهذه النعم التي أنعم الله بها عليهم سلبت منهم بسبب كفرانهم وجحودهم وعدم شكرهم لله علي هذه النعم وهذه سنة إلهية لا تتخلف فهل من معتبر، إن الله (ﷻ) ذكر هذه القصة وأمثالها لنتعظ ونحذر ولا نقع في مثل ما وقعوا فيه.

ومما يبين هذا أيضا ويؤكده قصة الأبرص والأقرع والأعمى التي رواها أبو هريرة (ﷺ) عن الرسول (ﷺ) ففيها أبلغ الدرس لمن أراد أن يعتبر ويتعظ بها.

فقد روي أبو هريرة عن النبي (ﷺ).

"أن ثلاثة من بني إسرائيل.أبرص وأقرع وأعمي.

أراد الله أن يبتليهم. فبعث إليهم ملكا، فأتي الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟

قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه، فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا.

فقال: فأي المال أحب إليك؟

فقال: الإبل أو قال البقر – شك من الراوي فأعطي ناقة عشراء.

فقال: بارك الله لك فيها.

فأتي الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرني الناس. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا.

قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملا، قال: بارك الله لك فيها.

فأتي الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره.

قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا، فأنتج[1] هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم.

ثم انه أتي الأبرص في صورته وهيئته. فقال له: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري.

فقال: الحقوق كثيرة فقال له:كأني أعرفك الم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟

فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال: إن كنت كاذبا فصبرك الله إلي ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلي ما كنت.

وأتي الأعمى في صورته وهيئته فقال له: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري،فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسالك بالذي رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمي فرد الله إليَّ بصري فخذ ما شئت فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله (ﷻ) فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط علي صاحبيك"[2]

---

(١) أنتج: تولي نتاجها والناتج للناقة كالقابلة للمرأة. ولد تولي ولادتها.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع من بني إسرائيل رقم ٣٤٦٤ فتح الباري ج ٦ ص ٥٧٨، في كتاب الأيمان والنذور لا يقول ما شاء الله وشئت وهل يقول أنا بالله ثم بك؟ رقم ٦٦٥٣ فتح الباري ج ١١ ص ٥٤٨.

الخاتمة

بعد الحمد لله أصلي واسلم علي سيدنا محمد (ﷺ) وعلي اله وأصحابه السادة الهداة ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

فإني أتوجه إلي الله (ﷻ) أن يغفر ذنبي وأن يشملني بعفوه وفضله وكرمه وأن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم.

فهذه خاتمة البحث المتواضع أضع فيها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات وهي كما يلي:-

النتائج:

١- المراد بالشكر عند أهل اللغة: الثناء علي الإنسان بمعروف يوليكه وحقيقته الرضا باليسير أو هو عرفان الإحسان ونشرة أو هو تصور النعمة وإظهارها وهو من الظهور والامتلاء.

وأما في الاصطلاح فقد عرف بتعاريف كثيرة منها: الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب وقيل هو الثناء علي المحسن بذكر إحسانه فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبول إحسانه الذي هو طاعته

والشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل علي جهة التعظيم والتبجيل علي النعمة من اللسان والجنان والأركان،

والشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلي ما خلق لأجله.

٢- موضوع الشكر من الموضوعات التي أهتم بها القرآن الكريم ولـذلك أمر به وحث عليه ونهي عن صده وقد وردت كلمة الشكر وما تصرف منها في القرآن الكريم في خمس وسبعين آية.

٣- الشكور من أسماء الله تعالي ويقصد به إنعامه علي عباده بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصي وأنه يجازيهم الجزاء الجزيل ويقبل منهم العمل القليـل حتى كانوا مخلصين فيه، فهو ينعم عليهم بالكثير ويقبل منهم القليـل ويجـازيهم علي ذلك بالثواب الجزيل فضلا منه وكرما والشكور من أبنية المبالغة التي تدل علي الكثرة والتكرار،هذا بالنسبة لله سبحانه وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته وأما الفـرق بـين الشاكر والشكور،فالشاكر من خلق الله من يقع منه الشكر فـي حـال الرخـاء والابتلاء بالنعم وأما الشكور فهو من يقع منه الشكر في جميع الأحـوال سـواء ابتلي بالمنع أو العطاء ويتكرر منه ذلك هذا إذا كان الشاكر من خلق الله أعني: أن يكون وصفا للإنسان الشاكر لان الشاكر في أصل اللغة هو المظهر للإنعـام عليه ويقوم بالثناء علي المنعم وأما إذا وصف الله (ﷻ) بالشاكر فمعناه المجازي علي الطاعة الواقعة من العبد بالثواب وذلك لان الشاكر معني إظهـار النعمـة والثناء علي المنعم محال بالنسبة لله تعالي فيكون ذلك من قبيل المجاز في حقـه (ﷻ).

٤- الفرق بين الشكر والحمد والمدح: أن كلا من الشكر والحمـد والمـدح ثناء علي المنعم أو المحسن، ولكن يوجد فروق دقيقة تميز كل واحد مـن هـذه الثلاثة عن الآخر فالمدح هو الثناء الحسن بالكلام الجميل وضد المدح الهجـاء والحمد هو الثناء الجميل علي المحمود وضد الحمد الذم وفـي الحمـد معنـي التعجب والتعظيم للمحمود وخضوع الحامد للمحمود.

وأما الشكر فهو الثناء علي المنعم بسبب ما أسداه من معروف وحقيقته الرضا باليسير وضد الشكر الكفران أي كفران النعمة هذا من حيث اللغة.

وما تقدم يتبين أن كلا من المدح والحمد والشكر بمعني الثناء الحسن علي الممدوح أو المحمود أو المنعم ولكن الفرق بينهم واضح من حيث اللغة.

فالمدح أعم من الحمد وذلك لأنه يكون للحي والميت والعاقل وغير العاقل والفاعل المختار ولغير المختار وهذا بخلاف الحمد فلا يكون إلا للحي العاقل المختار والمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده،وأما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان والمدح قد يكون منهيا عنه في بعض الأوقات ولظروف معينة وهذا بخلاف الحمد فهو مأمور به علي كل حال والمدح يدل علي أن الممدوح مختص بنوع ما من أنواع الفضائل وأما الحمد فهو القول الدال علي أن المحمود مختص بفضيلة معينة وهي فضيلة الإنعام والإحسان وكل هذه الأمور تبين أن المدح أعم من الحمد وأما الفرق بين الحمد والشكر مع أن كلا منها ثناء علي المنعم ولكن الحمد أعم من الشكر وذلك لأن الحمد يكون علي ما وصل من المنعم من إنعام وإحسان سواء كان هذا الإنعام أو الإحسان واصلا إلي الحامد نفسه أو إلي غيره فالحامد يحمد الله (ﷻ) لأنه مستحق للحمد سواء أنعم عليه أو أنعم علي غيره وسواء كان الإحسان واصلا إليه أو إلي أحد من خلقه أما الشكر فلا يكون إلا علي ما وصل إلي الشاكر من إحسان ونعم، فهو يشكر بسبب ما وصل إليه من نعم فثبت بذلك أن الحمد أعم من الشكر

٥- للشكر أنواع وقواعد يقوم عليها:

أما أنواعه فثلاثة أنواع:

النوع الأول: شكر اللسان وهو الثناء علي المحسن بذكر إحسانه وإظهار النعمة والاعتراف بها باللسان.

النوع الثاني: شكر القلب وهو أن يعتقد العبد بقلبه وأن يكون هذا الاعتقاد صادرا عن حب وإذعان بما صدر عنه عن طريق اللسان.

النوع الثالث: شكر الجوارح وهو أن يستعمل العبد جميع النعم التي أنعم الله بها عليه من السمع والبصر والكلام وغير ذلك فيما خلقت لأجله وزاد بعض أهل العلم نوعا رابعا وهو شكر الله تعالي بالله فلا يشكره حق شكره إلا هو ذكره صاحب التجريد،والشكر بهذه الأنواع وهذه الكيفية حكمة الوجوب وهل الوجوب ثابت بالشرع أو بالعقل اختلف أهل العلم في ذلك والذي رجحناه أن الصحيح هو انه ثابت بالشرع لا بالعقل لقوة أدلة القائلين بذلك.

وأما القواعد التي يقوم عليها فهي خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور وحبه له واعترافه بنعمته والثناء عليه بها وألا يستعملها فيما يكره.

٦- منزلة الشكر منزلة عالية فهي من أعلى المنازل ودرجة الشاكرين عند الله من ارفع الدرجات ومنزلة الشكر فوق منزلة الرضا لان الرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدون الرضا فالشاكر راض عن ربه في جميع الأحوال والشكر نصف الإيمان لأن الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر.

٧- أمر الله (ﷻ) عباده بالشكر وحثهم عليه ورغبهم فيه بأساليب متعددة وألوان مختلفة في كتابه الكريم

٨- نعم الله المستوجبة لشكره كثيرة لا يحصيها العد ولا يحيط بها حصر مصداقا لقوله تعالى {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ٩- للشكر ثمار عظيمة وفوائد جمة منها:

أ- أن منفعة الشكر تعود على الشاكر نفسه، فالشاكر هو أول المنتفعين بالشكر مصداقا لقوله تعالى على لسان سليمان (عليه السلام) **{قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي**

لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}

ب- الشكر دافع للبلاء ومانع من وقوع العذاب قال تعالى: **{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً}**

جـ- الشكر يطهر نفس الشاكر ويقربه من ربه ويوجهه إلى بذل النعم وانفاقها في وجوهها النافعة.

د- الشكر سبب لزيادة النعم ودوامها لقوله تعالى: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}**

١٠- أما عاقبة الجحود فهي من أوخم العواقب لأن الجحود شر ما يبتلى به الإنسان والجحود سبب في زوال النعم ونزول العذاب والنقم.

وأما ما أوصي به طلاب العلم بوجه عام والمتخصصين في التفسير وعلومه بوجه خاص أن يقفوا على مثل هذه الأبحاث وأن يحيطوا بها علما وأن يعرفوا دقائقها وخفاياها، وأن يعالجوا كل الموضوعات التي تحدث عنها القرآن الكريم بالبحث والدراسة لأنها زاد للدعوة والدعاة ومن جانب آخر فهي تبين ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أسرار وهدايات

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد صلى اله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب التفسير وعلوم القرآن

١- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص

٢- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي

٣- البحر المحيط لأبي حيان

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي

٥- التفسير الكبير للرازي

٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير

٧- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا

٨- تفسير آيات الحكام للشيح محمد علي السايس

٩- الجامع لحكام القرآن للقرطبي

١٠- روح المعاني للألوسي

١١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري

١٢- فتح القدير للشوكاني

١٣- المعجم المفهرس

١٤- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني

١٥- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

١٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي

ثالثا: كتب الحديث

١٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي
١٨- سنن أبي داود للإمام الحافظ سليمان الأشعث الأزرزي
١٩- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن ماجه
٢٠- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سوده السلمي
٢١- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن دينار
٢٢- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي
٢٣- صحيح مسلم بشرح النووي
٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني

رابعا: كتب اللغة

٢٥- التعريفات للجرجاني
٢٦- القاموس المحيط للفيروزابادي
٢٧- الكليات للكفوي
٢٨- لسان العرب لابن منظور
٢٩- معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٣٠- مختار الصحاح لأبي بكر الرازي
٣١- المصباح المنير للفيومي
٣٢- المعجم الوسيط

خامسا: كتب متنوعة

٣٣- إحياء علوم الدين للغزالي
٣٤- مدارج السالكين لابن القيم
٣٥- مفتاح دار السعادة لابن القيم
٣٦- موسوعة نضرة النعيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: معنى الشكر وبيان حقيقته	٧
المبحث الثاني: ورود الموضوع في القرآن الكريم	١٢
المبحث الثالث: معنى اسم الله الشكور	١٣
المبحث الرابع: الفرق بين الشاكر والشكور	١٧
المبحث الخامس: الفرق بين الشكر والحمد والمدح	٢٣
المبحث السادس: أنواع الشكر والقواعد التي يقوم عليها	٣٣
المبحث السابع: منزلة الشكر من الإيمان وثناء الله على الشاكر	٣٨
المبحث الثامن: الأمر بالشكر في القرآن الكريم	٤٢
المبحث التاسع: كثرة النعم المستوجبة لشكر الله	٥١
المبحث العاشر: ثمرات الشكر	٦٥

المبحث الحادي عشر: عاقبة الجحود	٧٢
خاتمة البحث	٨٢
أهم المراجع والمصادر	٨٧
فهرس الموضوعات	٨٩